الدِّفاعات النفسية في ألف ليلة وليلة

إعـداد

د.تهانـي بنت عبدالله المبرك

أستاذ مساعد بقسم الأدب– جامعة الإمام

محمد بن سعود الإسلامية

ملخص البحث باللغة العربية:

تعالج هذه الدراسة الدفاعات النفسية التي تلجأ إليها شخصيات ألف ليلة وليلة؛ تحقيقا للتناغم والتوافق بين رغبات (الهو) ومتطلبات (الأنا الأعلى) ومقتضيات الواقع والظروف المعيشة؛ لتحمي ذاتها من المشاعر التي تهدد أمنها النفسي وتسبب لها الانهيار مثل القلق أو احتقار النفس أو الإحباط. فالدفاعات النفسية هي أساليب تكيُّف لاشعورية حين تعجز الشخصية عن التغلب على العوائق وإشباع دوافعها بطريقة سوية واقعية. وهذه الدراسة حاولت تصنيف تلكم الدفاعات في حكايات ألف ليلة وليلة, بناء على سلوك الشخصيات واستجاباتها للمواقف, فكانت ثلاثة أنواع : دفاعات عدوانية, ودفاعات انسحابية , ودفاعات بنائية. وقد استعرضت الدراسة سمات الشخصيات التي صدر عنها كل نوع من الدفاعات النفسية في حكايات متنوعة , مفيدة من منهج التحليل النفسي الذي أرسى قواعده سيجموند فرويد.

الكلمات المفتاحية:

المنهج النفسي, دفاعات عدوانية, دفاعات انسحابية, دفاعات بنائية, سيجموند فرويد.

Abstract:

This study examines the psychological defenses that the characters of *The Thousand and One Nights* resort to In order to achieve harmony and compatibility between the desires of (the id), the requirements of the (Supreme Ego), and the necessities of reality and living conditions to protect themselves from feelings that threaten their psychological security and push them to collapse, such as anxiety, self-contempt or frustration. Psychological defenses are unconscious methods of adaptation when the personality is unable to overcome obstacles. This study attempted to classify those defenses in the tales of *The Thousand and One Nights* based on the characters' behavior and responses to situations, and they were categorized under three types: aggressive, withdrawal, and structural defenses. The study reviewed the attributes of the characters that produced each type of the psychological defenses in various and useful tales based on the psychoanalytic approach foundations laid by Sigmund Freud.

This study examines the psychological defenses that the characters of *The Thousand and One Nights* resort to In order to achieve harmony and compatibility between the desires of (the id), the requirements of the (Supreme Ego), and the necessities of reality and living conditions to protect themselves from feelings that threaten their psychological security and push them to collapse, such as anxiety, self-contempt or frustration. Psychological defenses are unconscious methods of adaptation when the personality is unable to overcome obstacles. This study attempted to classify those defenses in the tales of *The Thousand and One Nights* based on the characters' behavior and responses to situations, and they were categorized under three types: aggressive, withdrawal, and structural defenses. The study reviewed the attributes of the characters that produced each type of the psychological defenses in various and useful tales based on the psychoanalytic approach foundations laid by Sigmund Freud.

المقدمة:

يكتظ كتاب ألف ليلة وليلة بالشخصيات المتنوعة, فهو مدونة سردية غنية بالحكايات التي تظهر فيها ضروب الشخصيات الوافدة من كافة طبقات المجتمع, ففيها يلتقي القارئ بالنبلاء ملوكا ووزراء وأمراء, وبالتجار يذرعون البحار ويملؤون بضجيجهم الأسواق, وبالعاديين الكادحين, كما يشهد صنوفا من المهمشين والمنبوذين, وفيها شخصيات بشرية وغير بشرية تنهض بالغامرة, شخصيات تعطي الحكايات دراميتها وديناميتها بالاختلاف المبني على التمايز بينها في صفاتها وأدوارها, وعلى التضاد المولِّد للصراع والمواجهة [1].

وشخصيات ألف ليلة وليلة –على وفرتها واختلاف حظوظها في الحضور– كثيرا ما تقاسي مشاعر مريرة كالقهر والخوف والحرمان. فمنذ البداية نرى شهريار مصدوما بخيانة زوجته, صدمةً حولته من ملك عادل محبوب, إلى ملكٍ مقهور مهزوم, ثم إلى ملكٍ قاهر ؛ يضرب أعناق الصبايا الهشة بالسيف ليطفئ ألم الخيانة. فتنفتح الليالي على مشهد القتل العنيف المتكرر, وتوضع شهرزاد على حافة الخطر كل ليلة, ويوضع القارئ على حافة القلق إلى أن يسفر شروق الشمس عن هدنة قصيرة من الموت, هدنة في عمر يوم واحد فقط. وتتولد عن الحكاية (الإطار) موجات من القهر والخوف والحرمان تجتاح الحكايات الأخرى, فيشيع القلق وانعدام الشعور بالأمن والإحساس بالعجز أمام المصير, ويصبح توازن الشخصيات الوجودي مهددا, فتجابِه هذه الوضعية عسرةَ الاحتمال بأساليب دفاعية

متنوعة, في محاولة للسيطرة على مآزقها وإيجاد حلول سريعة[2], فهي تتوسل بالدفاعات النفسية لاستعادة ذاتها ومقاومة عمليات استلابها وهدر كرامتها[3].

ويقصد بالدفاعات النفسية "مجموعة عمليات تلجأ إليها النفس الإنسانية للاحتماء من القلق النابع من وطأة النزوات الداخلية , أو مشاعر الذنب النابعة من الأنا الأعلى , أو الخطر والتهديد الخارجي: خطر مادي أو معنوي يمس القيمة الذاتية"[4]. ومعنى ذلك أن الدفاعات تتولد عن علاقة السلطات الثلاث ببعضها في الجهاز النفسي: الهو, والأنا, والأنا الأعلى. فالدفاعات النفسية هي تسويات تحدث في منطقة الأنا (الشعور) لحل الصراع الناشئ بين الهو (موطن الغرائز والذكريات المكبوتة) والأنا الأعلى(مصدر القوانين الأدبية والأخلاقية).

فالهو لا يربط بين تمثلاته أي توليف, وفيه تكون العواطف متحركة , والتناقضات متداخلة تداخلا ينشأ عنه ضروب التكثيف[5], ويسيطر على إدارة عملياته مبدأ اللذة, وهو مبدأ يُفْتَرض تحقيقه, ومن أجل إشباع نزواته يخترق ميادين الأنا, الذي تخضع تداعيات الأفكار فيه إلى قواعد صارمة, لذا لا يُمكن للحفزات الغريزية أن تكسب اللذة دون ضجيج, لأنها "تجد نفسها مرغمة على مراعاة متطلبات الواقع, وأكثر من ذلك على الالتزام بالقوانين الأدبية والأخلاقية"[6]. أما الأنا الأعلى فهو الضمير الخلقي وعنه تصدر القوانين التي تمنع نزوات الهو من التحقيق, "نظرا لما تتضمنه من اعتداء على محرمات وخرق للنواهي, كما يراقب الأنا في سلوكه كي يمنعه من الانسياق وراء ضغط رغبات الهو"[7], وهو بذلك يمثل الرقابة الذاتية التي تتحرك متى

ما هُدِّدَتْ الأوامر والنواهي بالخرق, من خلال إثارته الشعور بالذنب والميل إلى عقاب الذات.

وعليه فإنَّ الأنا هو الميدان الذي تظهر فيه قوة السلطتين: (الهو) و (الأنا الأعلى), فهو موطن صراعهما وفيه تحدث التسويات في صورة دفاعات نفسية مثل: الكبت, والإسقاط, والتبرير, والنكوص, وغيرها. هذه الدفاعات هي آليات تَكَيُّف تعمل بطريقة لاشعورية , وهذا يعني أن للأفراد صورا محرفة وغير حقيقية لأنفسهم ولبيئتهم على المستوى الشعوري, لذلك تقول أنَّا فرويد:"ولا تكون نزوة الهو التي نراها عندئذ سليمة وغير مشوهة, وإنما هي نزوة معدلة بسبب تدابير الحماية المعتمدة من قبل الأنا"[8], فما يطفو على السطح لا يعكس الذي يعمل ويحتدم في الداخل. وقد تنبّه سيغموند فرويد إلى الدور الخطير لمحتويات الهو في توجيه سلوك الإنسان, فهي "تتمتع بقوة إلزام هائلة قابلة لأن تعاود ظهورها في حياة المرء, فتملي عليه أفعاله, وتحدد ما يميل إليه ويجتنبه وما ينفر منه ويصده, وتقرر في كثير من الأحيان اختياره الغرامي"[9].

وإذا كانت شخصيات ألف ليلة وليلة مصنوعة؛ فإن اللاشعور الذي تصدر عنه ليس حقيقيا وإنما متخيل. فتلك الحكايات صاغها قصاص مؤلفون ظلوا قرونا يحملون نسخهم الخاصة من هذا الكتاب؛ يحورون فيه ويضيفون إليه كيفما شاؤوا[10], وقد تعهدوا الشخصيات بإعادة تشكيلها وتهذيبها حتى جاءت على هذه الصورة. إن "اللاشعور الذي يمثله العمل الفني هو لاشعور أعيد شغله وضبطه وبَنْيَنَتُه؛ إنه لاشعور مُسيطَر عليه ومتحكَّم به ومعاد تقنينُه تحت آمر الجمالية. ورهان الجمالية في العمل الفني

رهان أساسي؛ فهي مفتاح حساسية الآخرين من مستقبلي العمل الفني"[11]. وجدير بالذكر أن استكشاف اللاشعور في عمق الشخصيات المتخيلة "هو طريقة لاكتشاف الإنسانية في داخلنا وداخل البشر الآخرين"[12].

هذه الدفاعات النفسية تختلف في نوعيتها وحدتها حسب طبيعة الشخصيات وظروفها في الحياة. وباستعراض أفعال وأقوال بعض شخصيات ألف ليلة وليلة, يمكن أن تُصنف تلكم الدفاعات حسب سلوك الشخصيات تجاه ما يهدد أمنها. فثمة شخصيات تتسلط وتعتدي, وثمة شخصيات تهرب من المواجهة, وشخصيات أخرى متزنة في مواجهة مآزقها. أما الشخصيات المتسلطة فتصدر عنها دفاعات عدوانية, وأما الشخصيات المتهربة فتصدر عنها دفاعات انسحابية, وأما الشخصيات المتزنة فتصدر عنها دفاعات بنائية. لا ننسى أن كل الدفاعات المتنوعة التي تستخدمها هذه الشخصيات على اختلافها, هي أساليب تقيها من المشاعر المريرة المرتبطة بمواقف الصراع أو الإحباط أو المواقف المثيرة للقلق مثل الألم أو الشعور بالذنب أو احتقار الذات, فهي محاولة للانعتاق من القهر والتحايل عليه. إنها آليات دفاعية تحمي بها الشخصيات نفسها من أية أخطار تهددها داخلية أم خارجية.

أولا: الدفاعات العدوانية:

تصدر الدفاعات العدوانية عن شخصيات تتجلى في تصرفاتها –سواء الواقعية أم الخيالية– نزعاتٌ غايتها إيذاء الآخرين إما بالكلام أو بالفعل مثل الإهانة والإذلال والحسد والإكراه والتدمير وغيرها[13]. والشعور بالإحباط هو الذي يستثيرها لإيذاء الآخرين وإيقاع العقوبة بهم وممارسة العنف عليهم,

رغبةً منها في إظهار التفوق[14]. فالعنف سلاح لإعادة شيء من التقدير المفقود للذات, من خلال التصدي مباشرة للعوامل التي يعدُّها المعتدي مسؤولة عن التبخيس الوجودي الذي حل به. إنه لغة تخاطب مع الآخرين حين تشعر الشخصية بإخفاقها في إقناعهم بالاعتراف بكيانها وقيمتها. "والعنف هو الوسيلة الأكثر شيوعا لتجنب العدوانية التي تُدين الذات الفاشلة بشدة, من خلال توجيه هذه العدوانية إلى الخارج بشكل مستمر أو دوري"[15].إن بعض شخصيات ألف ليلة وليلة مارست العنف في صورة دفاعات متنوعة حين شعرت بمأزق وجودي يمس قيمتها الذاتية, ووضعية مولّدة للتوتر الداخلي, وبدت إمكانات الخلاص محدودة وآفاقه مسدودة[16].ويمكن تصنيف الدفاعات النفسية العدوانية في ألف ليلة وليلة , إلى أربعة أنواع : الإزاحة, والتكوين العكسي , والإسقاط, والتبرير.

1- الإزاحة:

تظهر آلية الإزاحة في حكاية "الصياد مع العفريت"[17] التي تدور حول فقير طاعن في السن يُعيل زوجه وأولاده الثلاثة بما يحصل عليه من الصيد, وكان من عادته أنه يرمي شبكته في البحر أربع مرات لا غير. وذات يوم رمى شبكته ثلاث مرات متتالية فالتقطت شبكته أشياء لا تفيده (حمار ميت, زير مليء بالطين, قوارير), فرمى مرة رابعة مبتهلا إلى الله أن يكون رزقه فيها, فاشتبكت في الأرض فغطس في البحر لاستخراجها وخلّصها, فوجد فيها قمقما من نحاس أصفر مختوم برصاص عليه طبع خاتم النبي سليمان عليه السلام, وفرح به وهمَّ ببيعه في السوق لأنه يساوي عشرة دنانير ذهبا, ولكن ثقله أثار فضوله وأغراه بفتحه لأخذ ما فيه, فعالج الرصاص

بالسكين حتى فكّه من القمقم, وعندما فتحه حدث ما لم يكن في الحسبان؛ إذ خرج من القمقم دخانٌ صعد إلى عنان السماء ومشى على وجه الأرض ثم تشكل على هيئة عفريت ضخم, رأسه في السحاب ورجلاه على التراب وله هيئة مروعة, فارتعدت فرائص الصياد من الرعب, "فلما رآه العفريت قال: لا إله إلا الله سليمان نبي الله, ثم قال العفريت: يا نبي الله لا تقتلني فإني لا عدت أخالف لك قولا, ولا أعصي لك أمرا"[18]. فأخبره الصياد أن سليمان مات من مدة ألف وثمانمائة سنة وأنهم في آخر الزمان, وسأله عن قصته وسبب دخوله في القمقم. فلما سمع العفريت كلام الصياد قال له:أبشر بقتلك هذه الساعة أشر القتلات, واستنكر الصياد كلامه وهو الذي أنجاه من قرارة البحر, فأخبره المارد أنه عصى النبي سليمان بن داود فحبسه في القمقم وأمر الجان أن يلقوه في البحر, وانتظر زمنا طويلا داخل القمقم يرجو إطلاق سراحه, ثم أخذ على نفسه عهدا أن يغني إلى الأبد من يخلصه من أسره فمرت مائة عام وهو حبيس, ثم نوى أن يفتح كنوز الأرض لمن يخرجه فمرت عليه مائة عام أخرى ولم يخلصه أحد, ثم عزم على أن يقضي ثلاث حاجات لمن يخلصه, فما خلصه أحد طيلة أربعمائة عام, وهنا تعاظم غضبه ونوى أن يقتل من يخلصه وأن يخيّره في هيئة ميتته. ففكر الصياد في حيلة يخادع بها هذا الجني فقال له: "بالاسم العظيم المنقوش على خاتم سليمان أسألك عن شيء وتصدقني فيه"[19]. فاضطرب الجني عند ذكر الاسم الأعظم وقال: اسأل. وهنا أوقع به الصياد فسأله: "كيف كنت في هذا القمقم والقمقم لا يسع يدك ولا رجلك فكيف يسعك كلك؟"[20] وأكد له أنه لا يصدّقه أبدا حتى يراه داخل القمقم, فانتفض العفريت وتحول إلى دخان دخل في القمقم , وهنا أسرع الصياد فسد فم القمقم بالسدادة الرصاص, وتوجه إلى البحر ليلقيه

فيه, وأعرض عن توسلات العفريت وأخبره أن سيحذر الناس منه فلا يجد من يخرجه؛ كي يبقى في أعماق البحر إلى يوم القيامة ليرى أنواع العذاب. ولكن العفريت عاهده على ألا يسوءه أبدا وأنه سينفعه بما يغنيه, ففتح الصياد القمقم بعد أخذ المواثيق عليه, فانطلق الدخان, وحين مَثُل العفريت أمامه قذف بالقمقم إلى البحر, فخشي الصياد أن يغدر به وذكّره بالعهود, فمشى المارد وطلب من الصياد أن يتبعه ومضى به إلى خارج المدينة حتى بلغ بركة ماء فيها أسماك ملونة , وأخبره ألا يصطاد منها في اليوم إلا مرة واحدة, وأن يقدمها إلى السلطان ليجزل له العطاء, واعتذر منه واستودعه الله , ثم دق الأرض بقدميه فانشقت وابتلعته.

في هذه الحكاية شخصيتان تنتميان إلى طبيعتين مختلفتين فالصياد إنسي والآخر جني, وتنتميان إلى زمانين متباعدين إذ يفصل بينهما ألف وثمانمائة سنة. واللقاء المفاجئ بينهما كان لحظة تعارف تملّك فيها الصياد الذعر واستولت مشاعر العداء والرغبة في البطش على العفريت, ولم يقترف الصياد جناية في حق المارد يستحق بها هذا المصير القاسي, وتحريره من القمقم الذي ظل حبيسا فيه قرونا متطاولة أمر يستوجب الشكر وعظيم مكافأته لا المعاقبة بالقتل. ولكن الغضب بلغ بالجني حدا منعه من الاستماع إلى استعطاف الصياد وتوسلاته. فما الذي حمل الجني على الانتقام من الشخص الذي أسدى له معروفا وأنقذه؟

تمرُّد الجني هو الجرم الذي بسببه عوقب, فقد حُبس في القمقم لرفضه الخضوع للنبي سليمان والدخول في طاعته. ولما أصبح غارقا في أعماق البحر داخل هذا الحيز الضيق, أدرك أنه متورط في مصير مظلم, وأن لا

خلاص له إلا على يد منقذ فانتظر هذا المنقذ الذي سيحرره زمنا طويلا, وأثناء ذلك نما في باطنه غضبٌ ممن تسبب له بهذه الحالة؛ أي ممن عاقبه وهو النبي سليمان, ولكن غضبه كُبت, وهذا ما جعل الأنا يفسح الطريق للأمل في النجاة وعلى إثره تنوعت الوعود بالمكافأة, حتى تغلّب اليأس على الأمل ولم يعد للعقل الواعي قدرة على السيطرة على ذلك الغضب المحتدم المتراكم, فانفجر غضبه وعيدا يصبه على من ينقذه.

هنا مرَّ غضب الجني بمرحلتين: الكبت ثم الإزاحة. والكبت "هو الأوالية الدفاعية الأساسية, بواسطته يتمكن الأنا الواعي من طرد الرغبات والأفكار والانفعالات المصاحبة لها خارج حيز الوعي"[21] إلى اللاوعي , لأن الوعي بها أو تنفيذها يسبب القلق لتعارضها مع رغبات أخرى أو مع أوامر الأنا الأعلى. إن تأثير الكبت على النزوات جذري وهو أكثر الدفاعات خطرا لأنه يفتت الأنا, وبإمكانه أن يحطم تكامل الشخصية إلى الأبد بسبب انسحاب الوعي في ميادين كاملة من الحياة العاطفية والغريزية[22]. وكل الدفاعات الأخرى مساعدة للكبت تدعمه عندما لا ينجح بمفرده في عملية الإبعاد هذه. فقبل اندلاع غضب الجني كان الأنا قد فعَّل الكبت زمنا طويلا, فمكثت رغبة الجني في الانتقام ملجومة في الظاهر, لكنها نشطة في اللاوعي لا تكف بضغوطها المستمرة عن محاولة البروز, ومع قوة الضغط الهائلة التي يغذيها الإحباط المتنامي مع مرور القرون, عادت رغبة الانتقام إلى الظهور في الوعي بعد إخفاق الكبت, فاستخدم الأنا دفاع الإزاحة لتصريف مشاعر الغضب المتفجرة ولتغيير صورتها حتى يسمح الأنا الأعلى بظهورها , فالغضب كان من النبي سليمان والرغبة في الانتقام موجهة إليه , ولأن الجني يخاف من النبي سليمان كما أن أناه الأعلى يرفض رفضا صارخا الانتقام

منه؛ لما فيه من انتهاك لقداسة الأنبياء واجتراء على سلطة كبرى, فإن الأنا الراضخ لسلطة الأنا الأعلى حول "الشحنة الوِجدانية الداخلية عن موضوعها الحقيقي الأصلي إلى موضوع خارجي فرعي بديل ,كما يحدث في الرُّهاب والحُلُم حيث يُبدل العنصر الكامن أو الهام بعنصر آخر أُبعد عنه أو لا أهمية له بالنسبة إليه"[23], فصُرف الغصب عن جهته المقصودة إلى جهة أخرى, وصُب الانتقام على الصياد عوضا عن النبي , وهنا يجد الجني شيئا من التنفيس لأنه أفرغ غضبه.

والتنفيس عن الغصب والنوازع المرفوضة هو حل وقتي يمنح الجني شيئا من الراحة والاتزان, ولكن أصل المشكلة باقٍ, فالنقمة والرغبة في التدمير لن تبارح ذلك الجني , وانتقامه من الصياد لن يطفئ غضبه المضطرم , ولن يمحو من ذاكرته ألم الانتظار وذل الرجاء. وهنا تقدم الحكاية الشعبية علاجا ناجعا يخلص الجني من سيطرة النزوات عليه, ويوصله إلى اتزان حقيقي به يثوب إلى رشده وينسلخ عن عدوانيته, وذلك حين يجابه الصيادُ ثورة الجني بالعقل والحيلة فيحبسه في القمم, فيشعر الجني بالخوف من العودة إلى ظلمات البحر ويندم على سوء سلوكه وتفريطه بفرصة النجاة ويدرك أن غضبه سيدمره إن استسلم له, الأمر الذي يحمله على التخلص من رغبته في الانتقام والعزم على التحرر من الغضب والإحسان إلى الصياد.

إن حكاية "الصياد مع العفريت" تمضي في مسار استشفائي, فهي تحل صراعات الجني الباطنية باستخراج المكبوت وجعله مدركا في الوعي, وتحريره من سطوته لإيصال الجني إلى مرحلة الاتزان. وأثناء ذلك تمرر الحكاية رسائلها إلى القارئ, من خلال مخاطبة لا شعوره بالإيحاء , فتعالجه بالسرد,

وتحت غطاء السرد اللذيذ تمارس الإقناع الخفي, بأن التحرر من الغضب المكبوت والتخلص من الرغبة في الانتقام والتدمير هو مفتاح الخلاص.

2- التكوين العكسي:

تعد شخصية الملك شهريار في ألف ليلة وليلة أفضل مثال لدفاع التكوين العكسي. فشهريار الذي "ملك البلاد وحكم بالعدل بين العباد وأحبه أهل بلاده ومملكته"[24] اشتاق إلى أخيه شاه زمان ملك سمرقند فأمر وزيره أن يسافر إليه ويحضر به, وفرح شاه زمان بدعوة أخيه وسافر إليه, ولكنه تذكر في طريقه أنه نسي شيئا فقفل عائدا إلى قصره, وعندئذ رأى زوجته تخونه مع أحد العبيد فاسودت الدنيا في عينيه وقتلهما من ساعته بسيفه, ثم مضى إلى أخيه شهريار الذي أنكر عليه صفرة وجهه واغتمامه وسأله عما يشغله فكتم ولم يخبره بشيء, فعرض عليه أن يخرجا إلى الصيد والقنص لينشرح صدره فأبى ذلك, فخرج شهريار وحده. ومن شبابيك القصر المطلة على البستان رأى شاه زمان زوجة أخيه شهريار تخونه مع عبد أسود, يحيط بهما عشرون جارية وعشرون عبدا يمارسون العربدة والعهر. فهانت بليته عليه. ولما عاد شهريار من القنص أخبره أخوه بخيانة زوجتيهما وأنه ما استطاع أن يبوح بمصيبته حتى رأى مصيبة أخيه, فأوهم شهريار زوجته ومن في القصر بخروجه مع جنوده إلى السفر , ثم ما لبث أن عاد من المعسكر متخفيا إلى قصره ليقف على الأمر بنفسه, وهناك رأى من الشباك المطل على البستان خيانة زوجته, فقال لأخيه شاه زمان :"قم بنا نسافر إلى حال سبيلنا وليس لنا حاجة بالملك حتى ننظر هل جرى لأحد مثلنا أَوْ لا فيكون موتنا خيرا من حياتنا"[25]. وفي سفرهما التقيا بصبية جميلة اختطفها عفريت ليلة عرسها

وهي تخونه مع كل رجلٍ عابر, رغم تدابير الحماية والحراسة الشديدة التي أحاطها بها. فسرِّي عنهما لمّا رأيا خيانة من هو أقوى منهما, فعادا إلى القصر وضرب الملك شهريار عنق زوجته وأعناق الجواري والعبيد, وصار يتزوج بنتا بكرا ويقتلها من ليلتها, ولم يزل على ذلك مدة ثلاث سنوات حتى فزع الناس وهربوا ببناتهم فخلت المدينة من الفتيات.

شهريار بعد أن حلت المصيبة الكبرى به ورأى بأم عينه خيانة زوجته له, تحول إلى شخص دموي وحشي يهدد حياة النساء ويصيب ذويهنَّ بالرعب. فأي شيء أصاب مشهدُ الخيانة في الملك حتى انتهى به إلى هذا المصير المريع؟ الأمر هنا أبعد من مسألة الشرف أو حس الكرامة, فقلْب شهريار تهشّم وشيء أساسي تهاوى بداخله لما رأى زوجته تؤثر عليه عبدا أسود, أي من هو نقيضه والأشد اختلافا عنه, وقد صيرته ملكها المرغوب, فأحس شهريار أنه لا شيء, وكان أول استجابة أبداها هو العجز التام, إنه لم يقتل المذنبين من فوره كما فعل أخوه, وإنما انسحب وعَدَّ نفسه غير كفء لمزاولة الملك, إلا إن وجد شخصا مثله حصل له الأمر نفسه. إن صدمة الخيانة أقنعته بعجزه وهشاشة موقعه ودفعته إلى الانسحاب ونبذ عالمه[26]. ولما شهد خيانة الصبية للعفريت –وهو أقوى منه– وجد بعض العزاء لنفسه وأيقن أن الآخرين يشاركونه هذا المصير, فاستطاع أن يعود بعدما شوهته هذه الصدمة ليحل العنف محل العجز, في تكوين عكسي قلب شعوره بالنقص لعدم كفايته الجنسية وخوفه من تكرار الخيانة إلى عنف وقسوة مع النساء, وجعله يبدى مشاعر مغايرة لمشاعره الحقيقية, لتقلّ حدة التهديدات الداخلية, فالتكوين العكسي يحدث تغييرا جوهريا في سمة شخصية أو ميل أو دافع فينقلب إلى الضد في شعور الشخص, "وهذا يعني أن شعور الفرد يكون

مضادا تماما لما هو موجود في اللاشعور"[27]. وبسبب هذا الدفاع لن تظهر مشاعر النقص ومخاوف شهريار في صورتها الأصلية, وإنما ستظهر في وعيه محرفة إلى القسوة والعنف, في محاولة تكيّف لاشعورية تخفف من حدة التوتر والألم. فالملك "شهريار يشكو من جرح ويحاول أن ينتقم, ولكنه لا يصب نقمته على النساء بوصفهن نساء؛ بل على الأبكار. فقد جرحن براءته وهو يعوض عن ذلك بإنزال قصاص جارح على البريئات"[28]. إن الإجراء الذي اتخذه العقل الواعي منح الملك شعورا بالارتياح ,بل وبهجة, على الرغم من أن مضمون الإجراء نفسه ليس سارًّا [29]. ولأن مشاعر شهريار المكبوتة ظلت تمارس ضغوطها القوية؛ كان دفاع التكوين العكسي نشطا يورطه في سفكٍ متواصل لدماء فتيات بريئات لن يملكهن أي رجل آخر غيره, حتى جاءت شهرزاد.

تخبرنا ألف ليلة وليلة عن قلق الوزير وتعاظم همه وخوفه من الملك حين فتش فلم يجد في المدينة فتاة يقدمها له, وأن شهرزاد لما رأت ما حل بأبيها قالت له:" بالله يا أبتِ زوجني هذا الملك فإما أن أعيش, وإما أن أكون فداء لبنات المسلمين وسببا لخلاصهم من بين يديه"[30]. إنها ستخوض هذه المغامرة برغبة منها ووعي بمخاطرها رغم تحذيرات والدها, هناك صوت داخلي يدفعها لمواجهة الملك, صوت ينبئها أنها قادرة على تخليصه من عُصابه المدمر وعندها ستعيش, أو تخفق فتموت وتفدي بروحها نساء أخريات تلك الليلة. شهرزاد جعلت نفسها مخلصة, وهي تدرك أن للخلاص طريقين: أحدهما قصير ينتهي بموتها, والآخر طويل ستقطعه في رحلة علاج للملك تنتهي بشفائه, وبالإبقاء على حياتها وحياة بنات جنسها وتخليص المدينة من جنون الملك القاتل. وهذان الاحتمالان متساويان لا ترجح كفة

أحدهما لديها في تلك اللحظة. وهذا القرار يدل على شجاعة شهرزاد وما تتمتع به من قوة قلبية وثقة في النفس, ولا يفوتنا أيضا ما ألمحت إليه الليالي في الحكاية وهي تصف شهرزاد بأنها "قد قرأت الكتب والتواريخ وسير الملوك المتقدمين وأخبار الأمم الماضية. قيل إنها جمعت ألف كتاب من كتب التواريخ المتعلقة بالأمم السالفة والملوك الخالية والشعراء"[31]. فعلى غير عادة الليالي لم تشر إلى جمالها المبهر ولا إلى دلالها وغنجها, بل وصفت ثقافتها الواسعة, ذلك أن ما تحتاج إليه هذه المخلِّصة للسيطرة على الملك وإبطال مفعول الصدمة, هو عقل ثُقّف بالمعارف وقلب جسور وذكاء يسعفها في وضع خطة المواجهة؛ خطة تقوم على الحكي.

شهرزاد عدَّت شهريار مريضا نفسيا يستحق العلاج, وموقفها هذا ينطوي على افتراض أنه ليس طاغية ينبغي التخلص منه[32], وستشفي ملكها المعصوب بسرد الحكايات وبسحر الكلمة, مستعينة في بداية الأمر بأختها الصغرى دنيازاد, التي استأذنت الملك في أن تكون معها تلك الليلة لتودعها, وهي –بناء على اتفاق مسبق– ستقول لشهرزاد :"يا أختي حدثيني حديثا نقطع به السهر"[33] فتنطلق–بعد أن يأذن الملك– في قص حكاية "التاجر مع العفريت" التي تكون بداية الخلاص. وتمضي شهرزاد في الاستيلاء على عقل وقلب شهريار بحكاياتها المدهشة المتنوعة الساحرة المكتنزة بالعجيب, تغترفها من ثقافتها الخصبة وذاكرتها الملأى بأخبار الأمم والملوك , معتمدة على تخطيط ذكي يجذب الملك للاستزادة من حكيها ويمنعه من قتلها, حيث تتعمد شهرزاد قطع الحكاية مع بزوغ الفجر حين يدركها الصباح فتسكت عن الكلام المباح, لتبقى النهاية مؤجلة ملوّحة له بمزيد من التشويق والإغراء: "وأين هذا مما أحدثكم به الليلة القابلة إن عشت وأبقاني الملك"[34]. فيضطر الملك إلى

إرجاء قتلها حتى يسمع بقية حديثها. فثمة سر أو فضلة من سر يتطلع الملك أن تفك مغاليقه سيدةُ الحكايا لتشبع نهم فضوله[35]. وهكذا ستعبُر شهرزاد صراط الحكي كل ليلة لتصل إلى ضفة الحياة, وعلى مدى ألف ليلة وليلة بقيتْ تقود ثورتها السلمية التي انطلقت من مخدع أحاله شهريار إلى ساحة قتال[36]. ولكن لا حكاياتها المدهشة الممتعة, ولا توقيت النهايات الذكي, ولا تشويقها بالمزيد من الغرائب, هو الذي خلص الملك من مَأْزَمه , إن كلَّ ما سبق كان يسلي الملك , ويعطى شهرزاد مزيدا من الوقت الضروري لشفاء عقدته وحل خيوطها على مهل, أما الشفاء فتحقق بإعادة تذكير شهريار بالصدمة الأولى وجعله يعيش تجربته بطريقة أخرى, في حيوات أناس آخرين. فالملك غير قادر على نسيان صدمة الخيانة واستعادة الثقة بالجنس الآخر, لأنه عاجز عن اقتلاع جذور التثبيت النفسي على ذلك المشهد, وكل ما أثارته تلك الحادثة في نفسه من شعور بالنقص وقلق خصاء سيبقى حبيسا في اللاشعور مبعدا عن الشعور, وعدم إخراجه إلى الشعور وتجاوزه بالنسيان سيطيل عذابه. وهنا تنشئ له شهرزاد عالما موازيا يواجه فيه الملك حادثة الخيانة مرات عديدة [37], في حكايات تنطوي على ضروب من الخيانات البشعة وألوان من الانحرافات الجنسية, التي يخفف الاستماع إليها أثر الصدمة تدريجيا حتى يزول. وصدمة الملك استدعت جهدا علاجيا صبورا اعتمدت فيه شهرزاد على طريقة (التبليد), إذ أطفأت حساسيته الملتهبة والقاتلة تجاه خيانة زوجته "بجرع صغيرة لكن متكررة من الخيانات الخيالية الحكائية"[38]. ومقابل تلك السنوات الثلاث التي تكرر فيها القتل, استغرقت شهرزاد –لقوة تثبيت شهريار على تلك الصدمة– ثلاث سنوات تقص عليه لتنسيه ذلك المشهد حينا, ثم تعيده إلى المشهد نفسه مجازفة بحياتها. وبفضل

الكلمة استطاعت شهرزاد "أن تحيي شروط علاقة ممكنة , ثم تصير زوجة وتبقى على قيد الحياة"[39].حتى أطلت الليلة الواحدة بعد الألف؛ ليلة العفو والخلاص, ليلة انتهتْ فيها شهرزاد من حل صراعات الملك المضنية؛ فتحرر من الصدمة وغدا قادرا على تجاوزها بالنسيان.

عندما انفصل شهريار عن ظله الأنثوي (ظل الأمومة أصلا) انفلت عدوانه سافرا محطِّما, ملوِّنا بالخيانة كل النماذج الأنثوية التي ارتبط بها, " وما فعلته شهرزاد هو أنها أوصلت شهريار إلى حالة من التصالح مع ظله الأنثوي الذي هرب منه طويلا"[40]. إذ أمضت ألف ليلة وليلة أي ما يعادل ثلاثة وثلاثين شهرا , في حضانة المتوحش ورعايته كطفل شقي معذب , وبجهدها التربوي تعرّف على ظله الأنثوي الحقيقي, فعاد إلى حضن الأمومة المسالم واطمأنت روحه. إن المراحل العمرية للأولاد الثلاثة الذين أنجبتهم شهرزاد مدة هذه الليالي – أولهم يمشي والثاني يحبو والثالث يرضع–[41] تشير إلى استكمال رمزي لمراحل نضج شهريار, وتطور علاجي تحقق على يدي شهرزاد/ الأم. وأما إنجاب ثلاثة ذكور فهذا هو سر علاجي آخر يتمثل في (التكثير)؛ تكثير الذكور لفرد مهدد بالخصاء ومثبّت على خيانة أنثى , فإنجاب ثلاثة ذكور أمر يعزز ثقته بنفسه ويسهم في إلغاء شيء من رهاب الخيانة[42].

إذا كانت شهرزاد في هذه الحكاية تشبه المحلل النفسي فإن شهريار كان مريضها, وتلك الحكايات المنسوجة في المسامرات الليلة تماثل جلسات التحليل. على أن الطريف في الأمر أن المريض في جلسات التحليل النفسي هو مَنْ يتحدث والمحلل ينصت, أما في ألف ليلة وليلة فيحدث العكس ؛

فشهرزاد هي المتحدثة وشهريار هو المنصت , "ومع ذلك يتحقق لشهريار الشفاء عندما أنصت إنصاتا صادقا حقيقيا , فكان التحول والتغير , أو قل بلغة التحليل النفسي الاستبصار"[43].

3- الإسقاط:

الإسقاط "هو آلية دفاعية للأنا تتمثل في إسناد الفرد ميوله ورغباته وأنواع اندفاعه إلى غيره إسنادا لا شعوريا, فيمنع الأنا الأعلى عن الفرد الاعتراف بها"[44]. وهذا يعني أن الشخص في الإسقاط يلصق صفاته أو مشاعره أو رغباته أو نزواته أو أفكاره, التي لا يقبل أن تكون جزءا منه, بأشخاص آخرين أو ظواهر مادية أو علاقات؛ لأنها تثير فيه مشاعر ذنب أو خجل أو عار, فهو يتهرب منها ويُبرئ ذاته منها من خلال اتهام غيره بها؛ ليبعد عن ذاته كل ما يؤلمه أو يؤذيه[45]. ويعدُّ الإسقاط أقرب الدفاعات النفسية إلى الكبت. فالدفاعات الأخرى مثل الإزاحة والتكوين العكسي والتبرير وغيرها تؤثر في الظاهرة الغريزية نفسها, أما الكبت والإسقاط فهما يمنعانها فقط من أن تصبح واعية, فالكبت يلفظ ما يزعج الأنا إلى (الهو) , في حين يدفع الإسقاط التمثّل المزعج إلى العالم الخارجي[46].

تقدم "حكاية الملك يونان والحكيم رويان"[47] الواردة في الليلتين الرابعة والخامسة, مثالا جليا لهذا الدفاع في شخصية الوزير. تقول الحكاية إن الملك يونان صاحب المال والجنود والبأس والأعوان كان يشكو من داء البرص في بدنه, وقد عجز الأطباء عن مداواته ولم يفلح دواء في شفائه, حتى جاء إلى مدينة الملك الحكيمُ رويان الذي ألم بمختلف المعارف والعلوم والثقافات, فسمع بمرض الملك وذهب إليه وعرّف بنفسه, وأخبره أنه يستطيع أن يشفيه

من برصه دون أن يسقيه دواء أو يدهنه بدهن, فتعجب الملك من كلامه, ووعده إن أبرأه من علته أن ينعم عليه ويغنيه لولَدِ الولَدِ ويهبه كل ما يتمناه. فانكب الحكيم على كتبه واستخرج الأدوية والعقاقير وجعل منها صولجانا مجوفا, وعمل له قصبة, وصنع له كرة. ولما فرغ من ذلك دخل على الملك وطلب منه أن يركب إلى الميدان ويلعب بالكرة والصولجان, وعليه أن يحكم قبضته على قصبة الصولجان ويضرب الكرة بقوة, حينها ستعرق كفه وجسده, فينفذ الدواء من كفه فيسري في سائر جسده, وإذا فرغ وأثر الدواء فيه فإنه يرجع إلى القصر ويغتسل وينام, ويكون قد برئ من البرص. فامتثل الملك لكلام الحكيم, فهاله اختفاء البرص بعد خروجه من الحمام, وفرح بذلك غاية الفرح وانشرح صدره, وعزم على أن ينعم على الحكيم ويكرمه وأن يتخذه جليسا وأنيسا مدى الزمان. وفي الصباح دخل الديوان وجلس على سرير ملكه, ولما أقبل عليه الحكيم رويان قام إليه مسرعا وأجلسه بجانبه, وإذا بموائد الطعام قد مدت فأكل بصحبته, ومازال ينادمه طول النهار, فلما أقبل الليل أعطاه ألفي دينار غير الخلع والهدايا وأركبه جواده وانصرف إلى داره. ومازال هذا ديدن الملك معه يستقبله بالحفاوة وينادمه ويخلع عليه الخلع ويكرمه بالمال , حتى تحرك الحسد في قلب ذلك الوزير الذي أوغر صدره تقريب الملك للحكيم رويان وإنعامه عليه. فلبس لبوس الناصحين –وهو يريد شرا بالحكيم– وقال للملك بعد أن أظهر له الولاء وأنه سيكون امرأ سوء لو كتم ما يعلمه: "أيها الملك الجليل, قد قالت القدماء من لم ينظر في العواقب ما الدهر له بصاحب , وقد رأيت الملك على غير صواب؛ حيث أنعم على عدوه, وعلى من يطلب زوال ملكه, وقد أحسن إليه وأكرمه غاية الإكرام, وقربه غاية القرب, وأنا أخشى على الملك من ذلك. فانزعج الملك وتغير لونه وقال له من

الذي تزعم أنه عدوي وأُحْسِن إليه؟ فقال له: أيها الملك إن كنت نائما فاستيقظ, فأنا أشير إلى الحكيم رويان"[48]. ومازال الوزير الحاسد يثير في الملك الشكوك والمخاوف حتى قتل الملكُ الحكيمَ رويان.

الحكيم رويان في هذه الحكاية كان صفي الملك المخلص الأمين الذي شفاه بخبرته من دائه وسَرَّ قلبه, وبذلك نال تكريمه وثقته. ولا شيء في الحكاية يشير إلى خبثه أو فعل مريب. ولكن الوزير اتهم الحكيم رويان بعداوته للملك وبرغبته في زوال ملكه؛ ذلك أن الوزير حسد الحكيم على تقريب الملك يونان إياه وإكرامه. والحسد رغبة عدوانية في الحلول محل صاحب الحظ, وهو أمر عُرف به ذلك الوزير, إذ هو"بشع المنظر نحس الطالع لئيم بخيل حسود مجبول على الحسد والمقت"[49]هكذا وصفته الحكاية. وحري بمن طُبع على هذا الخلق الدنيء أن يشعره تفوق الحكيم رويان وحظه الوافر بالنقص والضآلة, وأنه غير قادر على إبهار الملك وكسب ثقته لتدني كفاءته, وهذه المشاعر المؤذية أقلقت الوزير وأثارت مخاوفه حول خسران منزلته, وأثارت حقده ورغبته في تدمير الحكيم رويان. ومن جهة ثانية تولدت في الوزير مشاعر التأنيب واللوم ومقت النفس؛ بسبب فشله في تحقيق ذاته وفي الوصول إلى قيمة شخصية تعطي لوجوده معنى. وهذه الضغوط المتزايدة من شأنها أن تفقد الوزير اتزانه, الأمر الذي لأجله ستعمل إحدى الدفاعات النفسية في سبيل إعادة شيء من التوازن ؛ وقد تولى الأنا حماية ذات الوزير من استهداف التبخيس الذاتي المدمر, بتوجيه العدوانية الداخلية التي تزايدت وطأتها إلى الخارج , وإسقاطها على الحكيم رويان في صورة اتهامات باطلة: فهو العدو, وهو من يطلب زوال الملك, وهو الذي يقدر على إهلاك الملك بشيء يمسكه مثلما شفاه بصولجان قبض عليه. وهذه التهم في

حقيقة الأمر موجودة في الوزير نفسه ؛ فقلبه يكن العداوة ويضطرم بها, كما أنه يفتقد إلى التقدير لأنه لا يتميز بشيء. فأسقط صفاته تلك على الحكيم رويان وحوله إلى عدو, وادعى أنه غير جدير بالتقريب والتكريم, وشكك فيه ليدمر أسطورة طبه ويحولها من ترياق إلى بلاء. ومن المؤكد أن الإسقاط الذي صيّر الحكيم رويان عدوا متربصا بالملك ومصدرا للشر, سيخفف من حدة شعور الوزير بالهزيمة والعجز. فعدوانية الوزير تجاوزت إدانة ذاته والارتداد إليها وتحطيمها, إلى تصريفها بالتفتيش عن مخطئ يحمل وزر العدوانية المتراكمة داخليا. وهو إذ يفعل ذلك يجد راحة مزدوجة: حيث يصرف عدوانه باتهام الحكيم , وينفي عن ذاته تهمة النقص والتقصير, وهكذا يتخلص أناه من الشعور بالذنب لأن الحكيم هو المذنب وهو المستحق للعقاب. "إنها سيطرة على الآخر وحط لشأنه من أجل إعلاء شأن الذات بواسطة العنف"[50]. وهذا هو جوهر السادية ؛ فالوزير شخصية سادية تسعى إلى تحطيم الحكيم من أجل السيطرة, وتجميده لتتمكن هي من التحرك. وقد مضى الوزير لتوكيد ذاته بتشويه غيره, فهو يود الوصول إلى نشوة الجبروت من خلال مسح وجود الآخر, وبهذا الفعل الكارثي المجسد في العنف غير المحدود "يطمئن إلى قوته غير الواثق منها, ويخفف من حدة قلقه"[51].

4- التبرير:

التبرير دفاع نفسي لاشعوري يلجأ إليه الإنسان؛ ليوهم الآخرين بأن ما يصدر عنه من آراء أو معتقدات أو سلوك معقولٌ, فيما هو غير ذلك. وغاية التبرير إخفاء الدوافع الحقيقية, وإبراز دوافع ظاهرية لمخاتلة الآخرين, وإضفاء

تفسير منطقي متماسك – من وجهة نظر الإنسان– يمكن قَبوله حسب المعايير النفسية والفكرية للجماعة[52].

ويتجلى دفاع التبرير في "حكاية الملك يونان والحكيم رويان". فالملك أزعجه كلام الوزير عن الحكيم رويان, واتهامه إياه بأنه يضمر العداوة له ويطلب زوال ملكه. وكان وَقْعُ هذا الاتهام شديدا على نفس الملك؛ فلجَّ في الإنكار والدفاع عن الحكيم لأنه صديقه وأعز الناس عنده, وقد أبرأه من مرضه الذي عجزت عنه الأطباء, وهو يثق بإخلاصه ويرتب له الجوامك والجرايات, ولو قاسمه ملكه لكان قليلا عليه. ولم يفته التنبُّه إلى حسد الوزير فصارحه بذلك: "ما أظن أنك تقول ذلك إلا حسدا"[53]. لقد كان كل شيء واضحا أمام الملك, ومع ذلك تسربت إلى نفسه المخاوف والشكوك ؛ لأن الوزير ما انفك يغذوها بتحذيره الموصول, وادعائه بأنه مشفق عليه, وأنه إن قبل منه نصيحته نجا. وحتى تُشِب تلك المخاوف أظفارها في قلبه طفق يقص عليه حكاية الوزير المحتال, الذي سَلِم الملك من مكره لأنه صدق كلام ابنه عنه. وبالغ في تخويفه إن أَمِن للحكيم رويان؛ لأنه سيقتله أقبح القتلات, فمثلما شفاه من علته بشيء أمسكه بيده فإنه قادر على أن يهلكه بشيء يمسكه أيضا. وهنا حدث تحول في موقف الملك يونان بعدما زلزلت الشكوك نفسه, فقال:" صدقت فقد يكون كما ذكرت أيها الوزير الناصح, فلعل هذا الحكيم أتى جاسوسا في طلب هلاكي"[54]. ثم استدعى الملك الحكيم وقال له: "أحضرتك لأقتلك وأعدمك روحك. فتعجب الحكيم رويان من تلك المقالة غاية العجب. وقال: أيها الملك لماذا تقتلني؟ وأي ذنب بدا مني؟ فقال له الملك؟ قد قيل لي إنك جاسوس وقد أتيت لتقتلني, وها أنا أقتلك قبل أن

تقتلني. ثم إن الملك صاح على السياف وقال له: اضرب رقبة هذا الغدار وأرحنا من شره"[55].

يدينُ الملكُ في الظاهر الحكيمَ ويعزم على قتله, ولكنه في الباطن يخوض صراعا نفسيا بين أمرين: شعوره بالذنب لأنه يعرف أنه بريء , وخوفه من أن يقتله الحكيم ؛ وهو خوف ضعضع أمنه وعبث به مع أنه لا يوجد أي دليل يدعمه. ولأن قتل الحكيم فعل مناقض للصحبة التي قامت بينهما, وإخلال بالوفاء والإكرام اللذين عُهدا عن الملك, وجزاء لا يستحقه الحكيم الأمين الذي لم يرتكب خطأ أو إساءة؛ فإن الملك جعل يبرر لنفسه وللآخرين تلك الرغبة الدموية الوحشية, ليضفي ثوب المنطق المعقول على جريمة قتل الحكيم ؛ فربما كان جاسوسا, أو يتحين إهلاكه بطبّه العجيب فيقتله بشيء يشمه, واستمر في تبرير فعله الخاطئ وهو تحت سيطرة قوة خفية لا يستطيع كبحها مضت به نحو الهاوية. ولا ريب في أن التبرير سينقذ الملك من افتراس ألم الشعور بالذنب, وسيخدر ضميره حين يزهق روح الحكيم , فيصبح عدوانه الذاتي مشروعا ومبررا وإحقاقا للحق؛ لأنه سيحمي نفسه وملكه.

الملك في الحكاية ألغى صوت العقل, وهذا مهد انتقاله من الثقة المطلقة بالحكيم رويان إلى الشك المفرط فيه. إنه لم يسعَ إلى التحقق ولم يتحرَ عن المزاعم التي سمعها لأنه لا يريد ذلك, فأدنى شك كفيل بأن ينسف أمنه النفسي ويثير مخاوفه على ملكه وسلطانه ويجعله يصدق. وفي مسألة سلامته والحفاظ على ملكه لا توجد حالة وسطى مع المقربين منه ؛ فإما مخلص أو خائن , إما الثقة التامة التي لا تشوبها شائبة, أو عدم الثقة وهذا

يفضي إلى النبذ والتصفية, فلا مجال للمسامحة ولا إعطاء فرصة أخرى أو المعاملة برفق. وهكذا صدق الملك الأكاذيب وعزم على قتل الحكيم وهمَّ بإنفاذ عزمه دون تراجع. ولكن تستوقفنا تلك العبارات التي تفوَّه بها, وهي ليست في صرامة عزمه وفعله! إن الملك حين تلقَّفتْ قلبَه الشكوكُ بات يردد أمام الوزير: "**لعل** هذا الحكيم أتى جاسوسا في طلب هلاكي"[56], وقريب من هذه العبار قال للحكيم: "قد **قيل لي** إنك جاسوس وقد أتيت لتقتلني" [57]. ففي الوقت الذي كان على الملك أن يتهم الحكيم بصيغة قاطعة جازمة لأن هذا ما يقتضيه الموقف وتقتضيه هيبة الملك, نراه يستخدم في كلامه عبارات تدل على عدم يقينه من ارتكاب الحكيم أية جناية يستحق بها القتل مثل: لعل, وقيل لي؛ وهي شبيهة بصيغ التمريض التي تشير إلى أن المتحدث لا يجزم بحقيقة ما يقوله, وثمة احتمال بطلانه. لقد ارتكب الملك هفوة أو زلة لسانية تكشف عن مأزمه الداخلي الذي لم يفلح التبرير في تغطيته. وإذا كان فرويد يقول:"خليق بنا ألا نزدري العلامات الصغيرة: فقد تهدينا إلى أشياء أجل شأنا وأعظم أهمية"[58], فإن تلك الهفوة اللسانية تشير إلى شعور الملك أنه لا يملك حجة كافية للقتل ولا عذرا مقبولا, وبذلك لا يحق له معاقبة الحكيم. إن زلة اللسان هي فعل نفسي له معنى, وناجمة عن تضافر قصدين مختلفين أو بالأحرى عن تعارضهما[59]: الأول اتهام الحكيم, والثاني: عدم التيقُّن من جنايته. وعبارة (أنت جاسوس) عكس عبارة (قيل لي إنك جاسوس) فاليقين ضديده الشك, وبين الأضداد تقوم وشائج قوية على صعيد التصور, وتكون قريبة إلى بعضها بعضا من حيث التداعي أو الترابط السيكولوجي[60]. ولسان الملك نطق بعكس ما كان يريد النطق به تماما ؛ لقد أدان نفسه من حيث أراد أن يدين الحكيم رويان. ربما تمكن الملك بدفاع التبرير أن يحمي نفسه

من تأنيب الضمير ولوم الناس وهو يصب عدوانه على الحكيم, لكن هفوة لسانية تخبرنا أن ثمة جمرا متقدا تحت الرماد.

ثانيا: الدفاعات الانسحابية:

تظهر الدفاعات الانسحابية حين تعجز الشخصية عن التغلب على العوائق وإشباع دوافعها بطريقة سوية واقعية, ثم لا تفلح في التنفيس عن حالة الإحباط والقهر المتراكم بصب عنفها الداخلي إلى الخارج؛ فيحميها الأنا من ارتداد ذلك العنف إليها باللجوء إلى دفاعات ذات سمة انسحابية تحملها على تجاهل الصراع ؛ كي يبعدها عن التورط في سلوك رضوخي مازوخي تستسيغ فيه تعذيب نفسها وإذلالها جسديا أو معنويا؛ نتيجة شعورها اللاواعي بالذنب[61]. والدفاعات الانسحابية تبعد الشخصية عن الموقف المتأزم الذي يحتمل أن يثير فيها القلق, فتخفف من وطأة المشاعر المؤلمة, وتحمي الأنا من الانهيار, لكنها تحول دون الشخصية وتحقيقها الاتزان, وتقلل من قدرتها على حل مشكلاتها. وقد ظهرت عدة دفاعات انسحابية في حكايات ألف ليلة وليلة هي: النكوص , والإنكار, والنسيان.

1-النكوص:

النكوص آلية دفاعية لاشعورية تجنب الفرد الإحباط والقلق , وتتمثل في ارتداده إلى أنماط من السلوك في مرحلة مبكرة نفسيا, لا تتناسب مع مرحلة النضج التي وصل إليها, مثل أن يواجه الراشد أزمات تؤثر في مسار حياته أو ظروفا ضاغطة بأساليب طفلية كأن يحطم الأشياء في ثورته وانفعاله[62],

أو يبكي استدرارا لعطف الآخرين حتى يشبعوا مطالبه. فيؤدي النكوص إلى أن يصبح سلوك الإنسان غريبا[63].

ويؤكد سيغموند فرويد ارتباط النكوص بالتثبيت, فإذا كان التثبيت يعني توقف الفرد عند مرحلة سالفة من التطور, فإن النكوص يحدث في مرحلة متقدمة من خلال حركة ارتجاعية إلى إحدى تلك المراحل السالفة. والفرد يلجأ إلى عملية النكوص إذا اصطدم إشباع ميوله وتلبية احتياجاته بعقبات خارجية كأداء[64], ولكي يتخلص من الإحباط وما يولده من قلق شديد فإنه يعود إلى نقطة التثبيت , وهي مرحلة سابقة توفّر له إشباعا نكوصيا.

يظهر دفاع النكوص في سلوك وأفعال شخصية حسن في "حكاية الوزير نور الدين مع أخيه شمس الدين"[65], التي تبدأ في الليلة التاسعة عشرة وتمتد حتى الليلة الرابعة والعشرين, ويحدث النكوص في الليلة العشرين. فبعد مفارقة نور الدين مصر –إثر خلافٍ وقع بينه وبين أخيه الأكبر شمس الدين– استقر في البصرة وتزوج بابنة الوزير هناك وأنجب منها ابنه حسن, ثم أدخل الوزيرُ نورَ الدين على السلطان وعرفه به ورشحه للوزارة خلفا له؛ لأنه صاحب رأي وتدبير وأهل لها, فاستحسن السلطان هذا الرأي واتخذ نور الدين وزيرا , وأعجب السلطان بذكائه وحسن تدبيره فأحبه وقربه وأكرمه, فاتسع نفوذه وتضاعفت أملاكه. وقد عكف نور الدين على تربية ابنه حسن , وأحضر له فقيها يُقرِئه في بيته ويحفّظه القرآن ويعلمه العلوم ويحسن تأديبه. ولا نُغفل تلك الإشارة التي تبدو عارضة لكنها بالغة الأهمية ؛ "فقد رباه الفقيه في قصر أبيه, ومن حين نشأته لم يخرج من قصر الوزارة"[66], حتى جاء ذلك اليوم الذي ألبسه أبوه أفخر ملبوسه ودخل به على السلطان الذي انبهر

بجماله وأحبه وأنعم عليه, وطلب من الوزير أن يحضره معه في كل يوم فأجابه حتى بلغ الولد من العمر خمسة عشر عاما. ثم مرض الوزير نور الدين وأحس بقرب أجله فأملى على ابنه حسن وصيته وجعله يكتب كل ما جرى له؛ لكي يعرف أصله وحسبه ونسبه, وأمره إن تبدلت الأحوال أن يذهب إلى مصر ويلتقي بعمه. وصار حسن يبكي على أبيه من أجل فراقه وهو صغير, فلما مات أقام الحزن في بيته, وحزن عليه السلطان وجميع الأمراء, ولم يزالوا في حزن مدة شهرين, ثم اتخذ السلطان وزيرا جديدا, وأمر أن يختم على أملاك نور الدين وأمواله, فخرج الوزير الجديد مع حجابه متوجهين إلى بيت نور الدين يختمون عليه ويقبضون على ولده حسن ويحملونه إلى السلطان الذي اشتد غضبه عليه؛ لأنه لم يطلع الديوان ولم يقابله ولم يؤدِ فروض الولاء المعهودة, وتمكن حسن من النجاة منهم بعد أن حذره مملوك من مماليك أبيه علم بنيّة السلطان في قتله, وهام على وجهه على غير قصد ,"فلم يزل سائرا إلى أن ساقته المقادير إلى تربة والده فدخل المقبرة, ومشى بين القبور إلى أن جلس عند قبر أبيه"[67],وظل يبكي ويتذكر ما كان فيه من العز والإقبال حتى أقبل عليه الليل فنام عند قبر أبيه.

مبالغة الوزير نور الدين في حماية ابنه وإحاطته بالرعاية حرمته من ممارسة طفولته الطبيعية, فلم يحظَ حسن بمشاهدة العالم خارج أسوار القصر ولا مخالطة الناس إلا بعد مضي سنوات عديدة, ولولا طلب السلطان أن يحضره أبوه كل يوم لَلَبِث حبيس القصر, وهذا المسلك في التربية صيره ولدا هشا قليل الخبرة ومثبّتا على الأب ؛ أي أن تركيز الطاقة النفسية الحُبِّية على موضوع الحماية في الطفولة مستمر إلى مراحل متأخرة في الحياة. و"التثبيت بدرجة مناسبة ضروري للنمو النفسي السوي, إلا أن شدة هذا التثبيت تعطل

النمو المتوازن الصحي ليتدرج في تمظهراته وتأثيراته السلبية بأشكال ودرجات مختلفة"[68]. فلما مات الأب ورحلت القوة الحامية والمساندة له أصيب حسن برضَّة أَخلَّتْ بطاقته النفسية, وهذا ما يفسر مكوثه في البيت مدة شهرين وتقصيره في أداء المراسم السلطانية. إن وفاة والده كان حادثا رضيًّا زعزع أس حياته فعزف عن كل اهتمام بالحاضر والمستقبل, وجعله الحزن مثبّتا تثبيتا وجدانيا على الماضي[69]. الأمر الذي أحفظ السلطان وحمله على انتزاع أموال الوزير وأملاكه والقبض على ابنه الذي لا يستحق التكريم؛ إذ لم يُقِم للسلطان قدره, ولم يفعل ما تقتضيه العادة في مثل هذه الأحوال من الدخول على السلطان وشكر أفضاله وتجديد الولاء. وحسن المغلول إلى رضته لم يفِقْ إلا والخطر قد بات على مرمى منه, ففر طلبا للنجاة, وهام على غير هدى حتى وجد نفسه أمام قبر أبيه. وقد يبدو حدث الذهاب إلى القبر غير مقصود وخارج عن إرادته حيث "ساقته المقادير" كما تقول الحكاية, ولكن الأمر غير ذلك, فاللجوء إلى القبر هو اختيار اللاشعور الذي وجه حسن وهو في ذروة خوفه واحتياجه إلى الأمان إلى الأب مصدر الإشباع. وهذا نكوص إلى مرحلة طفلية كان فيها حسن يلوذ بوالده ليحميه من أذى الآخرين, ويبكي عنده حين يشعر بالضعف ليحتويه ويواسيه. إن حسن لم يفر إلى مكان بعيد لينجو بنفسه, وهو أيضا لم يواجه السلطان فيعتذر ويطلب منه العفو, بل ارتد إلى طريقة في الإشباع النفسي ثُبت عليها في طفولته , وفعله النكوصي لا يناسب الحال التي هو فيها , ولكنه يخفف من وطأة إحباطه وقلقه.

2- الإنكار:

يلجأ الشخص إلى الإنكار حين تصبح رغباته أو أفكاره أو مشاعره المكبوتة في اللاشعور مدركة في الشعور, وهو يواصل إنكاره لها ونفيه إياها دفاعا عن نفسه[70]. ويُعدُّ الإنكار آلية دفاعية انسحابية لأنه يبعد عن دائرة الوعي الأشياء التي تسبب قلقا أو تهدد الذات, بإنكار حدوثها تماما والإصرار على عدم صحتها. مثل إنكار وفاة شخص عزيز والعيش في وهم وجوده وانتظار عودته رغم تأكد واقعة موته. و"الإنكار هو عكس الكبت: فالأول موضوعه خارجي, والثاني موضوعه داخلي. الذُّهاني يتنكر لواقعه , فيما العُصابي يكبت متطلبات الهو"[71]. وإنكار الواقع يدل على مرحلة مستفحلة من الخلل النفسي, فيها ينشطر الأنا انشطارا يرافقه قلق ورفض لإدراك الواقع[72].

تقدم لنا حكاية "مزين بغداد" شخصية طريفة تمثل دفاع الإنكار على نحو فريد. وتبدأ حكاية هذا المزين من لحظة لقائه بشاب ثري من أهل بغداد دعاه إلى منزله لحلاقته متهيّأً لموعد غرامي مع ابنة قاضي المدينة, وكان الاتفاق بين العاشقين أن يجتمعا في بيتها حين يخرج أبوها إلى صلاة الجمعة وأن يغادر المنزل قبل عودته. فما كان من هذا الحلاق العجيب الثرثار إلا أن أفسد عليه لقاءه وفضحه وجرَّ عليه بثرثرته الموصولة وفضوله البلايا تباعا.

فالمزين حين دخل على الشاب سلم ثم شرع يدعو له, وسأله أيريد تقصير شعره وإخراج دم؟ وجعل يرغبه في تقصير شعره والاحتجام موردا أحاديث لابن عباس وكلاما كثيرا يبين فضائل ذلك, فبرم الشاب بثرثرته وقال

له: "والله لقد أضجرتني وأزهقت روحي, وفوّلت علي وأنا ما طلبتك إلا لتحلق رأسي فقم واحلق رأسي ولا تطل علي الكلام"[73]. فأكد الحلاق أنه ناصح له مشفق عليه, بل عرض عليه أن يكون في خدمته سنة كاملة دون أجر , فاختنق الشاب من ثرثرته وقال: "إنك قاتلي في هذا اليوم لا محالة"[74], فقال: "يا سيدي أنا الذي تسميني الناس (الصامت) لقلة كلامي دون إخوتي, لأن أخي الكبير اسمه البقبوق, والثاني الهدار, والثالث بقيق, والرابع اسمه الكوز الأصواني, والخامس اسمه العشار, والسادس اسمه شقالق, والسابع اسمه الصامت وهو أنا"[75]. وضاق الوقت واقترب موعد الصلاة فكادت مرارة الشاب أن تنفطر, وأمر غلامه أن يعطي المزين ربع دينار ويصرفه فلا حاجة له في حلاقة رأسه, فأصر المزين على حلاقة رأسه دون أجر؛ لأنه يريد أن يرد جميل والده الذي أحسن إليه وأغدق المال عليه, وكان يمتثل لنصحه عندما ينهاه عن الحجامة في أوقات معلومة. فطلب منه الشاب أن ينصرف إلى حال سبيله ثم مزق ثيابه, فلما رأى المزين فعله أخذ الموسي وسّنه غير آبه به , فاغتاظ الشاب وكادت روحه أن تفارق جسمه, ثم تقدم المزين فحلق بعض رأسه, ونهاه عن العجلة لأنها من الشيطان وتورث الندامة, وألح عليه ليطلعه على سبب استعجاله, فأخبره أنه سيمضي إلى دعوة عند أصحابه, وهنا تذكر المزين أنه لم يجهز طعاما لأصحابه الذين دعاهم, فوعده الشاب إن عجل بحلاقة رأسه أن يعطيه كل ما في داره من طعام وشراب, فطلب المزين منه أن يصف ما عنده لأضيافه, فعدّد الشاب له ضروب الأطعمة والأشربة , فأصر المزين أن يقف عليها بنفسه, وطلب فوقها البخور والطيب, وأخذ يفحصه ويقلبه, ثم عاد يكمل حلاقة رأسه, ويخبره بأسماء أصحابه وأن لكل واحد منهم رقصة يرقصها وأبيات ينشدها, ويقول

عن نفسه: "أنا لا أعرف كثرة كلام ولا فضول"[76], ثم دعاه إلى الانضمام إلى اجتماعهم وترك أصدقائه, فاعتذر, ولكن المزين ظل يرغبه في المجيء معه: "ما طلبت إلا أن أعاشرك بهؤلاء الأقوام من أولاد الناس الذين ما فيهم فضوليّ"[77], ولما رأى المزين أن الشاب يقدم دعوة أصحابه عليه, عرض عليه أن يحمل ما أنعم به عليه من طعام وشراب إلى أصحابه ثم يعود إليه ليمضي معه إلى أصدقائه, فاعتذر له بأن الموضع الذي سيذهب إليه لا يدخل فيه غيره, فاستشف المزين مقصده وظل يلح عليه, وأدرك الشاب أن هذا المزين لا يتركه فأظهر الموافقة على أن ينتظره حتى يعود من أصحابه, وعلم المزين أنه يخادعه فسلم ما أخذه من طعام وشراب وغيره إلى حمال ليوصله إلى منزله ,ثم تخفى في بعض الأزقة وراقب صاحبه, وخرج الشاب وقد فرغ الناس من الصلاة وما إن دخل البيت حتى دخل القاضي بعده, فاتفق أن القاضي ضرب جارية عنده أذنبت ثم ضرب العبد الذي أراد أن يخلصها, فلما سمع المزين صياحهما ظن أن صاحبه قد وقع بين يدي القاضي, فصاح واستغاث ومزق أثوابه وجعل يقول: قُتل سيدي في بيت القاضي, وذهب إلى أهل بيته فأقبلوا يصيحون ووقفوا بباب القاضي, ولما فرَّ الشاب خوفا من الفضيحة سقط فانكسرت رجله, وظل هذا المزين يطارد الشاب حتى اضطره إلى بيع داره وعقاراته ومغادرة بغداد والسفر هربا منه. ولكن الشاب التقى بالمزين صدفة في بلاد الصين في مجلس ضم أرباب الصنائع من الخياطين والبزازين والنجارين, فامتنع عن الجلوس, وهمَّ بمغادرة المكان سريعا, فطلب رفاقه أن يحكي لهم سبب غيظه من المزين ففعل, ثم سألوا المزين عن حقيقة ما سمعوه, فانبرى يدافع عن نفسه ويمنّ على الشاب أن كان سببا في نجاته, وينفي عن نفسه تهمة الفضول وكثرة الكلام, ولكي

يؤكد قلة كلامه وفضوله قص عليهم ما وقع له في بغداد مع الخليفة المنتصر بالله, وهي حكاية تثبت العكس تماما! إذ رأى عشرة رجال قاصدين الزورق, فاختلط بهم ونزل معهم ظانا أنهم مدعوون إلى الطعام, فإذ هم أصحاب جرائم , قد أمر الخليفة بقطع رقابهم, وبعد أن أنجز السياف مهمته, استغربوا وجود المزين في جملة المجرمين, فعرّف بنفسه وبيّن لهم أنه من فَرْط مروءته وحكمته سكت ولم يتكلم! فسأله الخليفة عن بقية إخوته أهم يشبهونه في الحكمة والعلم وقلة الكلام؟ فنفى المزين ذلك, لأنهم لكثرة كلامهم وقلة مروءتهم صار كل واحد منهم بعاهة, أما هو فعظيم المروءة قليل الكلام! ثم شرع في قص حكايات إخوته الستة, واحدا تلو الآخر حتى قبل أن يأذن له الخليفة بذلك! فكان جزاء فضوله وثرثرته أن نفاه الخليفة خارج بغداد, ولم يتمكن من الرجوع إليها إلا بعد موته. ثم يختم المزين حديثه بنفي اتهامات الشاب:" ولولا أنا لقتل وقد اتهمني بشيء ما هو فيَّ, وجميع ما نقله عني من الفضول وكثرة الكلام وكثافة الطبع وعدم الذوق باطل يا جماعة"[78].

إن المزين من الشخصيات الهامشية التي تعيش على هامش المجتمع المنتج , وهو لا يرى التطفل عيبا بل يعده حقا مشروعا لأن المجتمع في نظره ظالم. ويبحث بدون انقطاع عن نوع من الاستقرار يبلغه أحيانا لكنه لا يحافظ عليه, ويعيش وضعا يسوده الصراع والتحيل, ويعبر عن رؤية للعالم وموقف من مجتمع يعارضه ويطمح إلى الاندماج فيه في الوقت ذاته, ويقصيه ويرغب فيه وآن واحد[79]. ويتصف المزين بصفتين بغيضتين: الفضول الشديد الذي يحمله على التدخل في شؤون الآخرين, والثرثرة الموصولة. وبقدر طغيان هاتين الصفتين في سلوكه كانت مبالغته في إنكارهما والتبرؤ منهما. والإنكار يكون بالنفي تارة كأن يقول: "أنا لا أعرف

كثرة كلام ولا فضول"[80]. وقد يكون الإنكار بإثبات الصفة المضادة لحقيقته نحو: "أنا الشيخ الصامت"[81]. وربما جمع بين النفي والإثبات معا في إنكاره: "وعَلِمَ أني كثير المروءة قليل الكلام ما عندي فضول كما يزعم هذا الشاب"[82]. وقد بلغت مرات إنكار المزين لصفتي الإفراط في الثرثرة والفضول, بكلا الصيغتين: النفي والإثبات, إحدى وعشرين مرة, وهذا كثير جدا. و"صفة الإفراط في أي سلوك من حيث النوع أو الكم هي التي تستدعي وضع هذا السلوك تحت مجهر التحليل"[83].

ففي مثل هذه الحالة التي يكون فيها التناقض كبيرا بين ما تُظهره الشخصية ونوازعها الباطنية المسيطرة على سلوكها؛ يظهر صراعٌ حاد, وشعورٌ بعدم الأمان وشكوك. ولتخفيف حدة هذه الأعراض يستخدم مزين بغداد كمية هائلة من الطاقة في الإنكار؛ كي يتجنب أن يكون واعيا للتناقضات الداخلية, وليمنع شعوره بازدراء الذات ونقص أصالتها[84]. فالوعي"حالة تجعل الصراع أكثر حدة, لكنه في نفس الوقت لا يفكك النزعات السابقة المكبوتة ببساطة بمجرد إدراكها"[85]. وإذا كانت الدفاعات النفسية تنشأ بسبب ثلاثة مخاوف تعتري الأنا هي: الخوف من الغرائز, والخوف من تهديدات الواقع, والخوف من الضمير (الأنا الأعلى) ؛ فإن الأنا سينقسم مخلِّصا نفسه من الخوف وما يثيره من قلق , فيتيح للغريزة أن تحتفظ بإشباعها[86], مع مراعاة المجتمع الذي يجرّم التدخل في شؤون الآخرين ويشجب الثرثرة, من خلال آلية الإنكار. فالمزين ينكر حقيقة نفسه التي يعجز عن تغييرها ؛ وغايته "تأمين سلامة الأنا وتحاشي الكدر"[87]. وإلحاحه في الإنكار لا شعوري, يخلو من الادعاء أو التظاهر, وبه لا يعود المزين مدركا لعيوبه, فهو يتصرف وكأنه بريء من تلك الصفات؛ لأن تقبله لعيوبه النكراء

يشكل تهديدا لذاته, فتراه يجادل حول واقعه ويرفض وصفه بالثرثرة والفضول. وتكرار الإنكار يخفف من الضغط الكبير لفكرة أنه سيء وغير مرغوب فيه, فقوة الإنكار تعادل قوة القلق الذي يجابهه الأنا بسبب هذين العيبين.

ودفاع الإنكار فتق مفارقات كثيرة مضحكة وشائقة في الحكاية, بعضها مفارقات لفظية, حيث "يكون المعنى المقصود فيها مناقضا أو مخالفا للمعنى الظاهر"[88] , فالمزين يسمي نفسه الصامت وهو ثرثار يتفجر الكلام من فمه كالشلال. وبعض المفارقات درامية يتصرف فيها المزين تصرفا يناقض حقيقة الوضع , وهو جاهل بما يجري حوله[89], فيرتكب حماقات تعقّد الأحداث , ومن ذلك توريط الشاب بفضيحة مجلجلة ولكنه يرى نفسه منقذا: "فلولا مَنَّ الله عليكَ بي ما كنتَ خلصتَ من هذه المصيبة"[90].

جدير بالذكر أن دفاع الإنكار يُعد من أكثر الدفاعات بدائية, حيث يُستخدم كثيرا في الطفولة. وهو إن دل على عدم السواء النفسي في الطفولة , فإنه علامة على المرض النفسي لدى الراشدين[91].

3- النسيان:

عالج فرويد النسيان في سياق حديثه عن الهفوات؛ لما بينهما من تقارب في علة الحدوث وطبيعة السيرورة النفسية. ونبه إلى أن النسيان الذي يقف خلفه توعك الصحة أو تعب أو اهتياج ويفضي إلى تشتت الانتباه لا يعد من قبيل التسويات النفسية[92]؛ فالأسباب العضوية-النفسية لها دور في اختلال الوظيفة السوية للذاكرة. والنسيان شأنه شأن هفوات اللسان, هو واقعة جزئية تحدث في مجرى سلوك الفرد العادي, ويُعدُّ دليلا "على حل وسط بين نية مقصودة ورغبة مكبوتة"[93].

ويرد دفاع النسيان في "حكاية أبي محمد الكسلان مع الرشيد" الواردة في الليلة الأولى بعد الثلاثمائة؛ إذ تعجب الرشيد من سعة ثروة أبي محمد الكسلان والهدايا النفيسة التي قدمها له, وامتلاكه لبعض الخوارق, فطلب منه تفسيرا لكل ذلك , فحكى له ما كان من أمره. فقد كان في صباه أكسل من يوجد على وجه الأرض, وبعد وفاة أبيه خدمت أمه في البيوت لتعوله وهو مضطجع في الدار لا يتحرك, ثم أعطته أمه في أحد الأيام خمسة دراهم من الفضة, وطلبت منه أن يمضيا إلى الشيخ أبي المظفر المعروف بحبه للفقراء وبأنه من أهل الخير, ليشتري لهما بهذه الدريهمات شيئا من الصين التي عزم على السفر إليها؛ لعلهم يحصل لهم ربح فيه. فكسل عن القيام معها, فأقسمت أنها لا تطعمه ولا تسقيه ولا تدخل عليه, فوافق على كره منه وهو يبكي, وطلب منها أن تقعده ثم تأتيه بمداسه, ثم تضع المداس في رجله, ثم تحمله حتى ترفعه عن الأرض, ثم تسنده حتى يمشي, وهي تفعل كل ما يطلبه, ومضى يمشي متعثرا في أذياله حتى وصلا إلى ساحل البحر وسلما على الشيخ, ومدَّ له الدراهم وسأله أن يشتري بها شيئا من بلاد الصين ليربح فيه. فسأل أبو المظفر أصحابه: "أتعرفون هذا الشاب؟ قالوا: نعم , هذا يعرف بأبي محمد الكسلان, وما رأيناه قط خرج من داره إلا في هذا الوقت"[94]. فأخذ منه الدراهم. ثم توجه الشيخ أبو المظفر إلى السفر ومعه جماعة من التجار, ولما وصل إلى الصين باع واشترى, ثم سار في البحر راجعا, فلما انقضت ثلاثة أيام طلب الشيخ من أصحابه أن يوقفوا المركب وأن يعودوا إلى بلاد الصين؛ لأنه نسي أن يشتري بمال أبي محمد الكسلان ما ينتفع به, فأبى أصحابه العودة مسافة طويلة وقد حصل لهم في اجتياز البحر أهوال عظيمة ومشقة زائدة, وعرضوا عليه أضعاف ربح الخمسة دراهم , فوافق, فجمعوا له

مالا جزيلا. ثم رسوا على جزيرة ليشتروا بعض البضائع, فرأى أبو المظفر رجلا جالسا بين يديه قرود كثيرة, وبينهم قرد منتوف الشعر, قد تسلطت عليه القردة بالضرب ثم يرمونه على صاحبهم, فيضربهم ويقيدهم ويعذبهم, فأشفق أبو المظفر عليه وقال للرجل: "إن معي لصبي يتيم خمسة دراهم هل تبيعني إياه بها"[95], فباعه. ولم يكن هذا القرد سوى مارد من الجن له قدرات خارقة ,كانت سببا في خلاص أبي المظفر من الأسر الذي وقع فيه هو وأصحابه, وسببا في ثراء أبي محمد الكسلان.

ما يهمنا في هذه الحكاية هو حادثة النسيان التي قد تبدو حدثا عاديا, ولكن تأمل الوقائع السابقة لها واللاحقة يبين أنها كانت دفاعا انسحابيا من دفاعات الأنا؛ للتخلص من محاسبة الضمير والشعور بالذنب. فالشيخ أبو المظفر أخذ المال من أبي محمد الكسلان ليشتري له بضاعة تربحه, ولكنه نسي أمر الدراهم وأمر صاحبها, ولم يتذكر إلا بعد فوات الأوان, فطلب طلبا عسيرا من أصحابه وهو أن يعودوا أدراجهم إلى الصين, بعد قطع مسافة طويلة في البحر ومقارعة أهوال الطريق, وبإصراره على العودة يُلجئ أصحابه إلى دفع مال كثير مقابل الأرباح التي كانت ستحصل للكسلان. وبذلك يكون أبو المظفر قد تحرر بعض الشيء من الشعور بالذنب, لأنه نسي الوفاء بوعده. "تنم الظروف المصاحبة للنسيان عن وجود ميل إلى التخلص بصورة مؤقته أو نهائية من الشيء المنسي"[96], وهذا يعني أن أبا المظفر لم يرغب في شراء بضاعة للكسلان بهذه الدريهمات القليلة, ولعله ازدراه ورآه غير مستحق للعون وليس أهلا للتجارة ؛ فمشيته المترددة ومجيئه مع أمه ثم شهادة الناس فيه ولقب (الكسلان) الذي ينادى به ؛كلها تدل على خموله وأنه لا يصلح للتجارة, التي تقتضي النشاط ومخالطة الناس وجسارة القلب والاعتماد

على النفس. والشيخ قَبِل مساعدته لأن ضميره يمنعه من رفض المساعدة, ويحمله على التمسك بصورة الرجل المحسن. وهنا يحدث صراع تنجح فيه قوى اللاشعور في القفز فوق حواجز الشعور لإشباع الرغبة المكبوتة؛ وهي الرغبة في منع هذا الكسلان من مزاولة التجارة , فينسى الشيخ أمر الكسلان ويُغيّب اللاشعور عن الوعي ذكره, فالنسيان فعل نفسي ناجم عن تداخل قصدين[97].

ويؤكد ذلك أنه اشترى بمال الكسلان –فيما بعد– قردا منتوفا, ليتخلص من ندمه وشعوره بالتقصير. فهذا الفعل عينه يدل على احتقاره للكسلان؛ فأي فائد ستعود عليه من وراء قرد منتوف لم تظهر فيه أية ميزة تحمد له؟! والتناقض بين كلام الشيخ وأفعاله يكشف عن رغبته في إبعاد الكسلان عن التجارة, فهو يقول لصاحب القرد: "إن معي لصبي يتيم خمسة دراهم هل تبيعني إياه بها"[98], فوصفه باليتيم يقتضي حفظ ماله وصرفه في وجوه مقبولة, ولكن شراءه لقرد مثير للشفقة يدل على احتقاره لأبي محمد الكسلان, وأنه يرى أن البضاعة الجيدة تحتاج إلى شخص يحسن بيعها والتدليل عليها, وهو أمر لم يجده في الكسلان, فاشترى له بماله شيئا يشبه شعوره تجاهه ؛ قرد لا نفع فيه وهيئته قبيحة وضعيف مستضعف.

ثالثا: الدفاعات البنائية:

تصدر الدفاعات البنائية عن الشخصية السوية المتزنة, التي تتصالح مع قلقها ومخاوفها وإحباطاتها وشعورها بالعار, وتحوّل معاناتها إلى شكل راق من السلوك الجيد. ذلك أن الشخصية السوية تتمتع بالقدرة على الفهم الصائب لذاتها وللآخرين , والقدرة على الإدراك السليم للواقع الذي تتحرك فيه

وتتفاعل معه, وإمكانية السيطرة عليه وتوجيهه لصالحها من جانب واتقاء شره من جانب آخر. وتدعمها خبراتها المكتسبة في التعامل مع المواقف الجديدة التي تواجهها. وهي شخصية قادرة على التحكم في نفسها وضبط أعصابها وانفعالاتها كي لا تقع في تصرفات طائشة تضر بها أو بغيرها, كما أنها تبذل من مالها وجهدها ووقتها لتقضي حوائج الآخرين؛ إنها تفيض حبا وتعاونا وإيثارا فيمتد خيرها ونفعها إلى غيرها, فهي ليست أسيرة مصالحها الضيقة وأنانيتها المفرطة. وهي قادرة على العمل المنتج البناء, جادة تتحمل المسؤولية التي تُلقى على عاتقها أو تلتزم بها. وهي شخصية تتبنّى قيما نبيلة كالدفاع عن الحق والعدالة والصدق والوفاء والتواضع والتعاون وحفظ كرامة الآخرين[99]. وأهم صور الدفاعات البنائية التسامي والتعويض. وكلا الدفاعين يمثلهما سلوك الطباخ في حكاية "الوزير نور الدين مع أخيه شمس الدين".

1- التسامي:

التسامي (أو الإعلاء) يعني الترفع الإنساني, والمقصود به في التحليل النفسي "التعالي على النزوات, وصرف طاقات الفرد في مصارف غير جنسية, كالنشاط الاجتماعي والروحي والعقلي والصوفي إلخ, المعبَّر عنه في أعمال فنية أو علمية ذات قيمة مميزة"[100]. إن التسامي أحد عمليات التوافق التي يلجأ إليها الأنا لحل الصراعات النفسية في المستوى اللاشعوري, مستثمرا طاقة الدافع الجنسي أو طاقة الدافع العدواني في نشاط مقبول ومحبذٍ اجتماعيا, فبدلا من صرف الدافع العدواني في الاعتداء والتدمير المرفوض اجتماعيا, يُصرف في الرياضة العنيفة مثل الملاكمة والمصارعة وغيرها من أوجه النشاط المقبولة[101]. إنه تهذيب للدوافع الغريزية المحرمة والاندفاعات

البدائية وإعادتها في شكل سلوكيات جديدة وغير غريزية. وقد عدت نظرية التحليل النفسي الإبداعات الفنية والتأملات الفكرية تجليات لعمليات التسامي, لذا ارتبط مفهوم التسامي بنمو الحضارة والثقافة.

وما فعله الطباخ مع حسن في حكاية "الوزير نور الدين مع أخيه شمس الدين" هو من قبيل التسامي. فبعد أن حملت العفريتة والعفريت حسن من مصر وطارا به ليعيداه إلى بلده البصرة, رمى شهابٌ من نارٍ العفريتَ فاحترق, وسَلِمَتْ العفريتة, فأنزلت حسن في الموضع الذي احترق فيه العفريت ولم تتجاوزه خوفا عليه, ووضعته عند باب من أبواب دمشق وطارت. فلما طلع النهار وفُتحت أبواب المدينة خرج الناس, فألفوا شابا مليحا غارقا في النوم عليه قميص وطاقية بلا عمامة, فانتبه حسن وسألهم أين هو؟ وما سبب اجتماعهم عليه؟ وأين السايس الأحدب؟ وأين كيس الذهب الذي كان معه؟ فأخبروه أنهم وجدوه عند أذان الصبح نائما ملقى على هذا الباب. فأخبرهم أنه نام هذه الليلة في مصر وأنه قبل البارحة كان بالبصرة فاعتقدوا أنه مجنون وتحسروا على شبابه, ثم قام ودخل المدينة ومشى في شوارعها وأسواقها فازدحم عليه الناس, فلاذ بدكان طباخ. وكان ذلك الطباخ فيما مضى رجلا مسرفا فتاب الله عليه وفتح دكانا طلبا للرزق الحلال, وأهل دمشق يرهبونه لشدة بأسه, فلما دخل حسن دكان الطباخ افترقوا وخافوا منه, وعندما نظر الطباخ إليه وجد عليه سيما الغرباء وهاله حسنه وجماله فرقّ له ووقعت محبته في قلبه, وسأله من أين أنت يا فتى؟ فحكى له ما جرى, فقال له الطباخ: "اعلم أن هذا أمر عجيب وحديث غريب ولكن يا ولدي اكتم ما معك حتى يفرج الله ما بك, واقعد عندي في هذا المكان وأنا ما لي ولد, فأتخذك ولدي"[102]. فوافق حسن بدر الدين واشترى الطباخ من السوق له

أقمشة فاخرة وألبسه إياها وتوجه به إلى القاضي وأشهد على نفسه أنه ولده, فاشتهر حسن في دمشق أنه ولد الطباخ. وأحاطه برعايته وجعله معه في الدكان يساعده في طبخ الطعام وبيعه وقبض الدراهم, ولبث عنده حتى التقى بعمه بعد سنوات.

بهذا الوصف قُدمت شخصية الطباخ في الحكاية: "وكان ذلك الطباخ رجلا مسرفا فتاب الله عليه من الحرام وفتح له دكان طباخ, وكان أهل دمشق كلهم يخافون منه بسبب شدة بأسه"[103]. فالطباخ في الماضي كان مسرفا في اقتراف الذنوب , ثم تاب واستعاض بالعمل الشريف الذي يدرُّ عليه الرزق الحلال, ولكن الناس يخشونه رغم توبته (لشدة بأسه), فالتوبة صرفته عن الذنوب لكنها لم تزِل شراسته, وهذا يدل على أنه في الماضي لم يكن مسرفا في الذنوب فحسب بل كان بطَّاشا. ولكنه ساعة أن رأى حسن بدر الدين تكشّف عن نبلٍ واحتواء, وحماه من سورة الناس وأصغى إليه وصدّقه, وعرض عليه المساعدة ووفر له مكانا آمنا وعملا يقتات منه. إن الطباخ تسامى بعدوانه وحوّله إلى رعاية وقوة حامية لحسن الذي فرَّ من الناس إليه, وصرف طاقته المبذولة من قبل في إشباع نزعاته العدوانية المرفوضة مجتمعيا, إلى غاية نبيلة تفيده وتعود على المجتمع بالنفع, وتنال إعجابه شخصيا وتستحوذ على إعجاب الجميع وإشادتهم. وبهذا التسامي حافظ الطباخ على توازنه وخفف من التوتر الداخلي الناجم عن النزعات العدوانية, التي تدفعه إلى تصرفات وحشية سادية مؤذية. والطباخ لجأ إلى آلية التسامي الدفاعية لأنه شخصية ناضجة سوية, عندما أخفق في السيطرة على نزعاته الفطرية المرفوضة غير مسارها إلى قيمة سامية وسخرها في عمل مفيد؛ فآوى غريبا وأمّن خائفا وحماه, وهنا يكون قد تحول من الأنانية إلى مراعاة

احتياجات الآخرين بلا مقابل مادي أو مكافأة, لأن المكافأة تكمن في هذه الأفعال نفسها؛ لما تحققه من رضى عن الذات وتصالح داخلي وشعور بالارتياح ورضى المجتمع. ولا شك في أن توبة الطباخ إلى الله دفعته إلى التسامي؛ فالروحانية تساعد في إشباع النوازع إشباعا راقيا.

2- التعويض:

من آليات الدفاع البنائية التي تعبر عن تمتع الشخصية بقدر من الاتزان والسواء , وفيها يلجأ "الفرد إلى تعويض النقائص الجسمية أو النفسية التي يعاني منها, بتطوير الوظيفة المتعلقة بالنقص, مثل قصير القامة الذي يصير بطلا في الملاكمة"[104], أو الفرد الذي يخفق في تعليمه فينخرط في دوامة من أنشطة وأساليب تجلب له مالا وفيرا, يكسبه الشعور بالقوة الذي حرم منه بسبب تعثره في التعليم[105]. والتعويض والتسامي يتشابهان في حماية الشخصية مما يهدد الأنا ويعرّض تكامل الفرد وثباته الحيوي-النفسي للخطر, وتوجيه الشخصية إلى ممارسات مفيدة للذات وللآخرين, لكن التعويض يرتبط بعقدة النقص التي تجر على الإنسان الشعور بالدونية والألم والعار, أما التسامي فهو تجاوز دوافع جنسية مرفوضة أو دوافع عدوانية وتحويلها إلى سلوك مرغوب. فالتعويض والتسامي آليتان دفاعيتان متقاربان لكن منشأهما مختلف.

وتظهر آلية التعويض في تبني الطباخ لحسن في حكاية "الوزير نور الدين مع أخيه شمس الدين". إذ قال له بعد أن عرف أنه غريب مقطوع من الأهل فار من بلدته: "اقعد عندي في هذا المكان وأنا ما لي ولد, فأتخذك ولدي"[106]. وكساه من السوق بأفخر الأقمشة, ثم"توجه به إلى القاضي وأشهد

على نفسه أنه ولده. وقد اشتهر حسن بدر الدين في مدينة دمشق أنه ولد الطباخ, وقعد عنده في الدكان يقبض الدراهم. وقد استقر أمره عند الطباخ على هذه الحالة"[107].

إن عطف الطباخ على حسن بدر الدين وحدبه عليه انبعث من شعوره بالحرمان من الولد, وقد رأى أن حسنا يمكن أن يشبع فيه الأبوة المفقودة, وبتبنيه ستحصل له لذة الأبوة ويقهر ألم الحرمان. ولأن الإنجاب يعطي الإنسان قيمة اجتماعية كبرى ويمنحه الشعور بالمساندة والقوة والأمان وامتداد الأثر , فإن الطباخ سارع إلى تبني حسن سعيا لردم شعوره بالنقص, وتأكيدا لها في مواجهة الآخرين, ورغبة في الحصول على وجاهة اجتماعية , "وفي هذا تعزية له وتسلية, ورد اعتبار لذاته, وعلاج لجراحه"[108]. وقد عامله معاملة الولد إذ أشركه في دكانه, ووثق به حتى كلفه بجمع الدراهم, معوضا ببنوته حرمانه من وجود ابن من صلبه يقف معه في دكانه ويباهي به الناس ويشعره بالقوة. إن مسارعة الطباخ بتبني حسن يظهر "أن الشعور بالنقص يجعل الفرد مهددا على الدوام, وأنه لا سبيل للتغلب على ذلك إلا بالتعويض ونشدان الكمال أو التفوق"[109].

سلوك الطباخ في هذه الحكاية يجمع بين آلية التسامي (تحويل عدوانه إلى قوة حَمتْ حسن من مطاردة الناس وتطفلهم), وآلية التعويض (اتخاذ حسن ولدا له يشاركه في ماله ويثق فيه تعويضا عن حرمانه من الإنجاب). وهذا الارتقاء الذي بلغه الطباخ بآليتي التسامي والتعويض كان نافعا له ومفيدا لحسن.

الخاتمة:

الدفاعات النفسية هي تسويات تحدث في منطقة الشعور في الشخصية, تحمي بها نفسها من المشاعر المريرة, التي تتولد عن الصراع الناشئ بين ثورة النزوات والغرائز والذكريات المؤلمة في الهو , وضوابط الأنا الأعلى مركز الأخلاق والآداب, وتهديدات الأخطار الخارجية. وقد لجأت شخصيات ألف ليلة وليلة في حكايات متنوعة إلى ضروب من الدفاعات النفسية, في محاولة للسيطرة على مآزقها, وإيجاد حلول سريعة تحقيقا للتوافق, ومقاومة لاستلابها وهدر كرامتها.

وتحدد طبيعة الشخصية وتكوينها النفسي والأخلاقي نوع الدفاع الذي تلجأ إليه, حين تعجز عن التغلب على العوائق بطريقة سوية مقبولة. لذا توسلت الشخصيات المتسلطة بدفاعات عدوانية لتوقع الأذى والعنف بالآخرين؛ فرارا من التبخيس الذي حلَّ بها ولإعادة التقدير لذاتها, فظهر دفاع الإزاحة في حكاية "الصياد والعفريت", ودفاع التكوين العكسي في سلوك الملك شهريار بعد صدمة الخيانة, ودفاعيّ الإسقاط والتبرير في "حكاية الملك يونان والحكيم رويان". وعلى النقيض من ذلك الشخصيات المتهربة, فإنها تنحاز إلى دفاعات انسحابية تخفف من وطأة المشاعر المؤلمة, وتحمي الأنا من الانهيار, وإن كانت لا تحقق لها الاتزان المرجو , مثل دفاع النكوص لدى حسن في "حكاية الوزير نور الدين مع أخيه شمس الدين", ودفاع الإنكار في حكاية "مزين بغداد", ودفاع النسيان في "حكاية أبي محمد الكسلان مع الرشيد". وتصدر عن الشخصية السوية المتزنة دفاعات بنائية, وهي أرقاها لما فيها من إشباع للنزوات والغرائز وحلٍّ للصراعات الداخلية بصورة جيدة

يقبلها المجتمع, مثل دفاعيّ التسامي والتعويض اللذين ظهرا في سلوك الطباخ في حكاية "الوزير نور الدين مع أخيه شمس الدين".

التوصية العلمية:

تنطوي الدفاعات النفسية على إمكانيات كبرى للكشف عن طبيعة الشخصية الإنسانية المعقدة , وتفسير أفعالها وأقوالها. وهي جديرة بالدراسة في ضروب السرد القديم والحديث.

المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

1. ألف ليلة وليلة, تصحيح: محمد العدوي وعبدالرحمن الصفتي. الدار المصرية اللبنانية, القاهرة, ط3, 2018م.

ثانيا: المراجع:

2. بوطيب, عبدالعالي: الشخصية الروائية بين الأمس واليوم, مجلة علامات في النقد, النادي الأدبي بجدة, م14, ج56, 1425هـ/2004م.

3. جبيوم, جلبير جراند: لة العلاج والنسيان دراسات في ألف ليلة وليلة, ترجمة: محمد أسليم.12/ 2012/9, موقع: https://www.aslim.org/?p=2985

4. حجازي, مصطفى: التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور, المركز الثقافي العربي , بيروت, ط12, 2013م.

5. خليل,أحمد خليل: معجم المصطلحات النفسية- الاجتماعية (عربي-فرنسي-إنجليزي), دار الفكر اللبناني, بيروت, ط1, 1997م.

6. الدسوقي, طارق إبراهيم: عطية الشخصية الإنسانية بين الحقيقة وعلم النفس, دار الجامعة الجديد, الإسكندرية, د ط, 2007.

7. سالمي, عبدالمجيد وآخرون: معجم مصطلحات علم النفس(عربي-فرنسي-إنجليزي). دار الكتاب المصري, القاهرة, ط1, 1998م.

8. سرمك, حسين: الركابي عراب اللاشعور الماكر. المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت, ط1, 2009م.

9. سرمك, حسين: مخيرون بالشعور مسيرون باللاشعور, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, ط1, 2002.

10. سليمان,خالد: المفارقة والأدب: دراسات في النظرية والتطبيق, دار الشروق, عمان, ط1, 1999م.

11. طرابيشي, جورج: الروائي وبطله: مقاربة للاشعور في الرواية العربية (الأعمال النقدية الكاملة), دار مدارك للنشر, دبي, ط1, 2013م.

12. طرشونة, محمود: إشكالية المنهج في النقد الأدبي, مركز النشر الجامعي, تونس, د ط, 2008م.

13. طه, فرج وآخرون: معجم علم النفس والتحليل النفسي , دار النهضة العربية للطباعة والنشر, بيروت, ط1, د.ت.

14. علي ,فرح : الإنكار بالتوهم, ما بين الأنا الطفلي والأنا الراشدة, مجلة المحطة الإلكترونية, 6 مارس 2022م: https://elmahatta.com

15. غزول, فريال جبوري: البنية والدلالة في ألف ليلة وليلة. مجلة فصول, المجلد 12, العدد 4, 1994م.

16. فرج, أحمد فرج: التحليل النفسي وألف ليلة وليلة: دراسة تمهيدية. فصول مجلة النقد الأدبي, المجلد 12, ع 4, 1994م.

17. فروم, إيريش: فن الوجود ,ترجمة: إيناس نبيل سليمان. دار الحوار للنشر والتوزيع, اللاذقية, ط1, 2011م.

18. فرويد, أنَّـا: الأنا و إواليات الدفاع , ترجمة: باسمة المنلا. دار قابس: بيروت , ط1, 1987م.

19. فرويد, سيغموند: أفكار لأزمنة الحرب والموت, ترجمة: سمير كرم, دار الطليعة, بيروت, ط3, 1986م.

20. فرويد, سيغموند: مدخل إلى التحليل النفسي, ترجمة: جورج طرابيشي, دار الطليعة, بيروت, ط4, 2000.

21. فرويد ,سيغموند: موسى والتوحيد ,ترجمة: جورج طرابيشي. دار الطليعة, بيروت, ط6, 2009م.

22. فرويد, سيغموند: النظرية العامة للأمراض العصابية, ترجمة: جورج طرابيشي, دار الطليعة,ط3, بيروت, 2010م.

23. القلماوي, سهير: ألف ليلة وليلة. دار المعارف, القاهرة, د ط, , 1966م.

24. النكوص والتثبيت,30 مايو 2021م, موقع:

https://www.psyco-dz.info/2017/06/blog-post_8.html

25.وجليسر, إيليفتش: قائمة ميكانيزمات الدفاع, ترجمة: مجدي محمد الدسوقي.جامعة المنوفية, مصر, د ط, د ت.

الهوامش:

(1)انظر: بوطيب, عبدالعالي: الشخصية الروائية بين الأمس واليوم, مجلة علامات في النقد, النادي الأدبي بجدة, م14, ج56, 1425هـ/2004م, ص:372.

(2)انظر: حجازي, مصطفى: التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور , المركز الثقافي العربي , بيروت, ط12, 2013م, ص:10-11.

(3)انظر: المرجع السابق , ص:35.

(4)المرجع السابق , ص:239.

(5)انظر: فرويد, أنَّـا: الأنا و إواليات الدفاع , ترجمة: باسمة المنلا. دار قابس: بيروت , ط1, 1987م, ص:11.

(6)المرجع السابق , ص:11.

(7)حجازي, مصطفى: التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور , ص:237.

(8)فرويد, أنَّـا: الأنا و إواليات الدفاع , ص:11.

(9)فرويد ,سيغموند: موسى والتوحيد ,ترجمة: جورج طرابيشي. دار الطليعة, بيروت, ط6, 2009م, ص:175.

(10) انظر: القلماوي, سهير: ألف ليلة وليلة. دار المعارف, القاهرة, د ط, , 1966م , ص:12.

(11) طرابيشي, جورج: الروائي وبطله: مقاربة للاشعور في الرواية العربية (الأعمال النقدية الكاملة) . دار مدارك للنشر, دبي, ط1, 2013م, 3/ 492.

(12) فروم, إيريش: فن الوجود ,ترجمة: إيناس نبيل سليمان. دار الحوار للنشر والتوزيع, اللاذقية, ط1, 2011م, ص: 136.

(13) انظر: خليل, أحمد خليل: معجم المصطلحات النفسية- الاجتماعية (عربي-فرنسي-إنجليزي). دار الفكر اللبناني, بيروت, ط1, 1997م, ص:112.

(14) انظر: سالمي, عبدالمجيد وآخرون: معجم مصطلحات علم النفس(عربي-فرنسي-إنجليزي). دار الكتاب المصري, القاهرة, ط1, 1998م, ص:161.

(15) حجازي, مصطفى: التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور, ص: 165.

(16) انظر: المرجع السابق, ص: 165.

(17) انظر: ألف ليلة وليلة, تصحيح: محمد العدوي وعبدالرحمن الصفتي. الدار المصرية اللبنانية, القاهرة, ط3, 2018م, 1/ 30-52.

(18) ألف ليلة وليلة , 1/ 31.

(19) المصدر السابق, 1/ 33.

(20) المصدر السابق , 1/ 33.

(21) حجازي, مصطفى: التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور,ص:250.

(22) انظر: فرويد, أنَّـا: الأنا و إواليات الدفاع , ص:37.

(23) سالمي, عبدالمجيد وآخرون: معجم مصطلحات علم النفس(عربي-فرنسي-إنجليزي), ص:21, 22.

(24) ألف ليلة وليلة , 1/ 17.

(25) المصدر السابق , 1/ 17.

(26) انظر: جييوم, جلبير جراند: لغة العلاج والنسيان دراسات في ألف ليلة وليلة, ترجمة: محمد أسليم.12/ 2012/9, موقع: **https://www.aslim.org/?p=2985**

(27) وجليسر, إيليفتش: قائمة ميكانيزمات الدفاع, ترجمة: مجدي محمد الدسوقي.جامعة المنوفية, مصر, د ط, د ت, ص:19

(28) غزول, فريال جبوري: البنية والدلالة في ألف ليلة وليلة. مجلة فصول, المجلد 12, العدد 4, 1994م, ص: 84.

(29) انظر: فروم, إيريش: فن الوجود, ص: 120.

(30) ألف ليلة وليلة , 1/ 21.

(31) المصدر السابق , 1/ 21.

(32) انظر: سرمك, حسين: الركابي عراب اللاشعور الماكر. المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت, ط1, 2009م, ص: 164.

(33) ألف ليلة وليلة , 1/ 23.

(34) المصدر السابق , ص: 25.

(35) انظر: سرمك, حسين: الركابي عراب اللاشعور الماكر, ص: 27.

(36) انظر: المرجع السابق, ص:149.

(37) انظر:جييوم, جلبير جراند: لغة العلاج والنسيان دراسات في ألف ليلة وليلة, ترجمة: محمد أسليم, موقع : **https://www.aslim.org/?p=2985**

(38) سرمك, حسين: الركابي عراب اللاشعور الماكر, ص:183.

(39) انظر: جييوم, جلبير جراند: لغة العلاج والنسيان دراسات في ألف ليلة وليلة, ترجمة: محمد أسليم, موقع: **https://www.aslim.org/?p=2985**

(40) سرمك , حسين: الركابي عراب اللاشعور الماكر, ص:184.

(41) ألف ليلة وليلة, 498/4.

(42) انظر: سرمك, حسين: الركابي عراب اللاشعور الماكر, ص:184.

(43) فرج, أحمد فرج: التحليل النفسي وألف ليلة وليلة: دراسة تمهيدية. فصول مجلة النقد الأدبي, المجلد 12, ع 4, 1994م, ص: 128.

(44) سالمي, عبدالمجيد وآخرون: معجم مصطلحات علم النفس(عربي-فرنسي-إنجليزي), ص: 28.

(45) انظر: حجازي, مصطفى: التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور, ص: 235.

(46) انظر: فرويد, أنَّـا: الأنا و إواليات الدفاع, ص: 85.

(47) ألف ليلة وليلة , 1/ 33.

(48) ألف ليلة وليلة , 1/ 36.

(49) المصدر السابق, 1/ 36.

(50) حجازي, مصطفى: التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سيكولوجية الإنسان المقهور, ص : 190.

(51) المرجع السابق ,ص : 191.

(52) انظر: خليل, أحمد خليل: معجم المصطلحات النفسية- الاجتماعية (عربي-فرنسي-إنجليزي), ص:155.

(53) ألف ليلة وليلة , 1/ 37.

(54) المصدر السابق , 1/ 39.

(55) المصدر السابق, 1/ 40.

(56) ألف ليلة وليلة , 1/ 39.

(57) المصدر السابق , 1/ 40.

(58) فرويد, سيغموند: مدخل إلى التحليل النفسي, ترجمة: جورج طرابيشي, دار الطليعة, بيروت, ط4, 2000, ص:23.

(59) انظر: المرجع السابق, ص:42.

(60) انظر: المرجع السابق, ص:30.

(61) انظر: خليل, أحمد خليل: معجم المصطلحات النفسية- الاجتماعية (عربي-فرنسي-إنجليزي), ص:144.

(62) انظر: النكوص والتثبيت,30 مايو 2021م, موقع:
https://www.psyco-dz.info/2017/06/blog-post_8.html

(63) انظر: طه, فرج وآخرون: معجم علم النفس والتحليل النفسي , دار النهضة العربية للطباعة والنشر, بيروت, ط1, د.ت , ص: 465-466.

(64) انظر: فرويد, سيغموند: النظرية العامة للأمراض العصابية, ترجمة: جورج طرابيشي, دار الطليعة,ط3, بيروت, 2010م, ص:126.

(65) انظر: ألف ليلة وليلة , 1/ 99-106.

(66) المصدر السابق , 1/ 104.

(67) المصدر السابق , 1/ 106.

(68) سرمك, حسين: مخيرون بالشعور مسيرون باللاشعور, دار الشؤون الثقافية العامة, بغداد, ط1, 2002,ص:73.

(69) انظر: فرويد, سيغموند: النظرية العامة للأمراض العصابية, ص:47.

(70) انظر: سالمي, عبدالمجيد وآخرون: معجم مصطلحات علم النفس(عربي-فرنسي-إنجليزي), ص: 238.

(71) خليل, أحمد خليل: معجم المصطلحات النفسية- الاجتماعية (عربي-فرنسي-إنجليزي), ص:34.

(72) انظر: المرجع السابق , ص:35.

(73) ألف ليلة وليلة , 1/ 153.

(74) المصدر السابق , 1/ 153.

(75) المصدر السابق , 1/ 154.

(76) ألف ليلة وليلة , 1/ 156.

(77) المصدر السابق , 1/ 157.

(78) ألف ليلة وليلة , 1/ 176.

(79) انظر:طرشونة,محمود:إشكالية المنهج في النقد الأدبي, مركز النشر الجامعي, تونس, د ط ,2008م,ص:82.

(80) ألف ليلة وليلة , 1/ 156.

(81) المصدر السابق , 1/ 160.

(82) المصدر السابق, 1/ 160.

(83) سرمك, حسين: مخيرون بالشعور مسيرون باللاشعور, 2002, ص: 100.

(84) انظر: فروم , إيريش : فن الوجود, 2011م , 122.

(85) المرجع السابق , ص: 124.

(86) انظر: فرويد, سيغموند: أفكار لأزمنة الحرب والموت, ترجمة: سمير كرم, دار الطليعة, بيروت, ط3, 1986م, ص:98.

(87) علي ,فرح : الإنكار بالتوهم, ما بين الأنا الطفلي والأنا الراشدة, مجلة المحطة الإلكترونية , 6 مارس 2022م: **https://elmahatta.com**

(88) سليمان,خالد: المفارقة والأدب: دراسات في النظرية والتطبيق, دار الشروق, عمان, ط1, 1999م, ص:26.

(89) انظر: المرجع السابق , ص:30.

(90) ألف ليلة وليلة , 1/ 159.

(91) انظر علي ,فرح : الإنكار بالتوهم, ما بين الأنا الطفلي والأنا الراشدة, مجلة المحطة الإلكترونية, الموقع: **https://elmahatta.com**

(92) انظر: فرويد, سيغموند: مدخل إلى التحليل النفسي, ص:25.

(93) سالمي, عبدالمجيد وآخرون: معجم مصطلحات علم النفس(عربي-فرنسي-إنجليزي), ص: 244.

(94) ألف ليلة وليلة , 2/ 231.

(95) ألف ليلة وليلة , 2/ 231.

(96) فرويد, سيغموند: مدخل إلى التحليل النفسي , ص:56.

(97) انظر: المرجع السابق , ص:63.

(98) ألف ليلة وليلة , 2/ 231.

(99) انظر: الدسوقي, طارق إبراهيم: عطية الشخصية الإنسانية بين الحقيقة وعلم النفس, دار الجامعة الجديد, الإسكندرية, د ط, 2007, ص:219-229.

(100) خليل, أحمد خليل: معجم المصطلحات النفسية- الاجتماعية (عربي-فرنسي-إنجليزي), ص:51.

(101) انظر: طه, فرج وآخرون: معجم علم النفس والتحليل النفسي, ص: 116.

(102) ألف ليلة وليلة , 1/ 112.

(103) ألف ليلة وليلة , 1/ 112.

(104) سالمي, عبدالمجيد وآخرون: معجم مصطلحات علم النفس(عربي-فرنسي-إنجليزي) , ص: 69.

(105) انظر: طه, فرج وآخرون: معجم علم النفس والتحليل النفسي, ص:131.

(106) ألف ليلة وليلة , 1/ 112.

(107) المصدر السابق , 1/ 112.

(108) انظر: طه, فرج وآخرون: معجم علم النفس والتحليل النفسي, ص:131.

(109) المرجع السابق , ص:131.